

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾

سورة الأحزاب / الآية ٣٣

## معالم النفاق فى القرآن

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ: كِتَابَ اللَّهِ،  
وَعِزَّتِي أَهْلَ بَيْتِي، مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ  
بِهِمَا لَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا، وَأَنَّهَمَا لَنْ  
يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ.

(ورد بصيغ متقاربة في صحيح مسلم، ج ٧،  
ص ١٢٢، سنن الدارمي، ج ٢، ص ٤٣٢،  
مسند احمد، ج ٣، ص ١٤، ١٧، ٢٦، ٥٩،  
ج ٤، ص ٣٦٦، ٣٧١، ج ٥، ص ١٨٢،  
مستدرک الحاکم، ج ٣، ص ١٠٩، ١٤٨،  
٥٣٣، وغيرها من المصادر).

# معالم النفاق في القرآن

الأستاذ السيد أحمد الخاتمي

ترجمة:

جمال محمد صالح

المجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام



## ■ معالم النفاق في القرآن

تأليف : الأستاذ السيد أحمد الخاتمي

تدوين : جواد بور روستائي

إعداد :المعاونية الثقافية، دائرة الترجمة

ترجمة : جمال محمد صالح

تصحيح : صباح البياتي

المراجعة النهائية: شاكر الأحمد و خليل الجليحاي

الناشر: المجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام

الطبعة: الأولى

المطبعة: اعتماد

تاريخ النشر: ١٤٢٨ هجري / ٢٠٠٧ ميلادي

عدد النسخ: ٣٠٠٠

حقوق النشر محفوظة للناشر

ISBN:964-529-140-2

info@ahl-ul-bayt.org

www.ahl-ul-bayt.org

## كلمة المجمع:

إن تراث أهل البيت عليهم السلام الذي اخترنته مدرستهم، وحفظه من الضياع أتباعهم، يعبر عن مدرسة جامعة لشتى فروع المعرفة الإسلامية. وقد استطاعت هذه المدرسة أن تربي النفوس المستعدة للاغتراف من هذا المعين، وتقدم للأمة الإسلامية كبار العلماء المحندين لخطى أهل البيت عليهم السلام الرسالية، مستوعبين إثارات وأسئلة شتى المذاهب والاتجاهات الفكرية من داخل الحاضرة الإسلامية وخارجها، مقدمين لها أمتن الأجوبة والحلول على مدى القرون المتتالية.

وقد بادر المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام - منطلقاً من مسؤولياته التي أخذها على عاتقه - للدفاع عن حريم الرسالة وحقائقها التي ضُرب عليها أرباب الفرق والمذاهب وأصحاب الاتجاهات المناوئة للإسلام، مقتفياً خطى أهل البيت عليهم السلام وأتباع مدرستهم الرشيدة التي حرصت في الرد على التحديات المستمرة، وحاوكت أن تبقى على الدوام في خطِّ مواجهة وبالمستوى المطلوب في كل عصر.

إن التجارب التي تختزنها كتب علماء مدرسة أهل البيت عليهم السلام في هذا المضمار فريدة في نوعها؛ لأنها ذات رصيد علمي يحتكم إلى العقل والبرهان ويتجنب الهوى والتعصب المذموم، ويخاطب العلماء والمفكرين من ذوي

الاختصاص خطاباً يستسيغه العقل وتتقبله الفطرة السليمة.  
 نرجو من القراء الكرام أن لا ييخلوا علينا بأرائهم ومقترحاتهم القيّمة  
 وانتقاداتهم البناءة في هذا المجال. كما ندعو كافة المراكز المعنيّة والعلماء  
 والمؤلفين والمترجمين للتعاون معنا في نشر الثقافة الإسلاميّة المحمديّة الأصيلة.  
 سائلين الله تعالى أن يتقبل منّا هذا القليل ويوفقنا للمزيد في ظلّ عنايته  
 الخاصة ورعاية خليفته في الأرض الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه  
 الشريف).

ونتقدّم بالشكر الجزيل لسماحة السيّد أحمد الخاتمي لتأليفه هذا  
 الكتاب. كما ونشكر الأخ الفاضل جمال محمّد صالح لنقله هذا الكتاب  
 من الفارسية إلى اللغة العربية، وكذلك جميع زملائنا الذين ساهموا في  
 إنجاز هذا الأثر، بالأخص العاملين في قسم الترجمة.

### المعاونة الثقافية

المجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام



## بسم الله الرحمن الرحيم

### تمهيد

إنّ هذا الكتاب الذي بين يديك عزيزي القارئ هو تأليف من كتاب (النفاق في القرآن)، ومن دروس في التفسير للأستاذ حجة الإسلام والمسلمين الحاج السيد أحمد الخاتمي.

في هذه التوليفة والمراجعة، كان يتعين تلخيص المواضيع إلى أقصى حدّ ممكن، وحذف النكات التي لا ترتبط بالموضوع مباشرة. لهذا السبب فإنّ هذه المجموعة لا تشتمل على كافة الأبحاث التي كان الأستاذ قد ضمّنها كتابه السابق، كما لا تحتوي على كل النكات التي كان قد طرحها في الدروس.

والكتاب يُستهل بمقدمة قيّمة للأستاذ، إذ تعدّ أيضاً مدخلاً إلى موضوعات الكتاب .

في الفصل الأول عُرضت على بساط النقاش ضرورة معرفة النفاق، ومعناه اللغوي والاصطلاحي، ونبذة تاريخية عن ظهور النفاق في الإسلام. وأمّا الفصل الثاني للكتاب فقد تضمّن تحليل الخصوصيات السياسية للمنافقين، والتي تفرّعت إلى ثلاثة فروع، هي: خصوصيتا (الارتباط بالأجنبي) و(مناهضة الولاية). فتمّ طرح هاتين الخصوصيتين، وبشكل مُفصّل لما تضمّنناه من مواضيع الفرعين الأول والثاني. وفي الفرع الثالث

طُرحت سائر الخصوصيات السياسية للمنافقين.

والفصل الثالث من الكتاب تكفّل بتحليل الخصوصيات الفردية والنفسية للمنافقين، بينما اشتمل الفصل الرابع على 'أبحاثٍ تهتمّ بتوضيح بخصوصياتهم الثقافية. وفي الفصل الخامس كُنّا عرضنا لمناقشة الخصوصيات الاجتماعية للمنافقين. وفي الفصل الأخير من الكتاب، وهو الفصل السادس بُحِثت إجمالاً دراسة الطرق الكفيلة بالتصدي للمنافقين. مطالب هذا الكتاب من وحي الأستاذ، بينما كنتُ أنا وراء تحريرها وبيانها. وبالطبع فإنّي وفي طول المدة التي قضيتها في تدوين الأبحاث، كنتُ آخذ أيضاً تعليمات الأستاذ بنظر الاعتبار، فأهتّمُ بحذف وإضافة ما يقترحه عليّ.

أرجو من القراء الأعزاء لو عثروا على ضعفٍ أو ارتباكٍ في الكتاب فيحملهوا على زلّة قلمنا، وليغضّوا الطرفَ عن قصوره.

وفي الختام أرى من اللازم أن أتقدم بالشكر إلى كل الذين مدّوا لنا العون والمساعدة في هذا العمل، وعلى الخصوص السيد الوحيددي والسيد المقيمي، والسيد الناشر المحترم الذي تصدّى لمسؤولية طباعة ونشر الكتاب. كما أعتذرُ لسامحته لما سببته له من مضايقات بسبب كثرة مراجعاتي له.

جواد بور روستايي

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة الأستاذ

يُعدّ الوعي من أبرز مؤشرات النموّ والكمال في المجتمع الديني. فلا يمكن للفتن والإشاعات والفوضى، والتسلّط الهمجي أن يعبر عن كلمة المجتمع الإسلامي الطّولى. فالوعي هو الأوحد الذي يعبر عن الكلمة. تعتبر البصيرة من أهم الشروط الضرورية الواجب توافرها في الدعوة الى الحقّ. ويجب على الدعاة إلى الله أن يتحلّوا بها:

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾<sup>(١)</sup>

يشتمل الوعي [أو البصيرة] على 'أبعادٍ واسعة منها: معرفة الله، ومعرفة النبيّ والإمام، ومعرفة المعاد، ومعرفة التكليف و...

فمعرفة الأعداء تُمثّل البُعد الشامخ للوعي ؛ لأنّ الحديث عن الكفر بالطاغوت،<sup>(٢)</sup> واجتنابه،<sup>(٣)</sup> والتخلّي عن عبادة الشيطان، كان ورد متقدماً على الحديث عن الدعوة إلى التوحيد وعبادة الله، أو متأثراً عقيبها مباشرة، وذلك في كثير من الموارد في القرآن.

1. يوسف: ١٠٨.

2. البقرة: ٢٥٦.

3. النحل: ٣٦.

في بعض الأحيان يكون العدو معروفاً، وهو ينصب راية العداة بصورة علنية. فمع أن الصدام والمقاومة في هذه الصورة سيرافقهما مشقة ومشكلات وصعوبات، إلا أن مشكلة الخداع والغواية ليس لها وجود. وفي إحيانٍ أخرى يُلبس نفسه هالةً مما يراها المجتمع مقدسة. ولا يرفع راية العداة وحسب، بل إنه سيرف نفسه كصديق حقيقي. ففي مثل هذه الحالة سيتضمن التعامل معه فضلاً عن مشقات وعقبات الكفاح، مشقة وصعوبة أخرى تغلب على أصل الكفاح نفسه، وهي مشكلة تضليل وخداع العامة، وبالتالي قدرته على التأثير في صفوفنا.

وعلى هذا الأساس فإنّ مجابهة علي بن أبي طالب عليه السلام للناكثين والقاسطين والمارقين، كانت أصعب بكثير من مواجهة الرسول صلى الله عليه وآله مع عبدة الأصنام، وذلك لأنّ الرسول كان يقاتل أناساً شعارهم (عاش الصنم)، أمّا الإمام علي عليه السلام فإنه كان في نزاع مع أناس، ممن كانوا اشتركوا في الجهاد مع الرسول، <sup>(١)</sup> وأصيبوا بعاهاةٍ جرّاء ذلك. <sup>(٢)</sup> كما أنّه عليه السلام كان في نزاع مع قوم، غاية فخرهم أنّ الرسول صلى الله عليه وآله كان قد امتدحهم فيما مضى. <sup>(٣)</sup>

1. بعد مقتل الزبير جاؤوا بسيفه إلى علي عليه السلام، فقال الإمام: سيف طالما جلى الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله. (مروج الذهب: ج ٢ ص ٣٦١ وسفينة البحار، لفظة زبير).
2. اشترك طلحة في معركة الخندق و معركة أحد، وسائر معارك الرسول صلى الله عليه وآله، وفي معركة أحد تعرض رأسه إلى ضربة، فأصيب بجروح. (أسد الغابة، ج ٣، ص ٨٦).
3. عندما أراد الرسول صلى الله عليه وآله في معركة الخندق أن يتعرف على خير ما يكون من

وأنه كان في نزاع مع قوم، كانت جباههم قد غطتها الثفنات من كثرة العبادة.

فكان ﷺ في نزاع مع قوم، يمكن لأينهم المنبعث من حرارة تلاوتهم للقرآن الكريم، في منتصف لياليهم، أن يوقع شخصية مثل كميل تحت تأثيرهم<sup>(١)</sup> ..

نعم، كان الإمام يواجه أعداءً كهؤلاء. ومن الواضح جداً، أن مواجهتهم والتعرّف على صورهم الحقيقية، ضمن تلبّسهم بعشرات الصور المخادعة، تتطلب وعياً علوياً! كما يصرح بذلك الإمام نفسه، وذلك في موارد عدة من نهج البلاغة.<sup>(٢)</sup>

ومن الأبعاد المهمة للوعي: هي معرفة مثل هذا النمط من الأعداء الذين يُطلق عليهم القرآن اسم المنافقين.

يهتم القرآن بالكشف عن ملامح المنافقين أكثر من اهتمامه بفضح ملامح الكافرين، وهذا يعبر عن عظم الخطر الذي يشكّله المنافقون على

---

حال المشركين، أعلن في وسط المجتمعين: من يقدر على أن يأتينا بخبر عن قريش؟ نهض الزبير وقال: أنا حاضر، كرر الرسول ﷺ هذا السؤال ثلاث مرات، وفي كل مرة ما كان يجب سوى الزبير. وفي النهاية كان قد ذهب وأتى بالخبر. وهنا كان للرسول ﷺ أن يقول: لكل نبي حوارياً وحواري الزبير. (أسد الغابة، ج ٢، ص ٢٥٠).

١. بحار الأنوار؛ ج ٣٣، ص ٣٩٩، وسفينة البحار، لفظة «كمل».

٢. راجع نهج البلاغة: الخطبة ١٠ و١٣٧ و٩٣.

المجتمع الإسلامي.

أمّا ما يختص بمجتمعنا الإسلامي وثورتنا اليوم، فإنّها وبحمد الله قد طوت خلفها عشرين ربيعاً شامخاً، وهي بعون الله ببركة الأرواح المقدسة للرسول ﷺ وأهل بيته الأكرمين ﷺ، فإنّها كانت وعبر حلّها للمشكلات والمعضلات تمثّل نموذجاً للحكومة الدينية الناجحة والمتكاملة. ففي هذه الظروف يبذل الأعداء في الخارج والمنافقين أيضاً كل مساعيهم ومن أجل سدّ عجزهم إلى التظاهر بأنّ الحكومة الدينية بلا طائل، من أجل زرع اليأس في نفوس كلّ الذين تعلّقت قلوبهم بهذه الثورة.

لقد عمل الأعداء في هذا النطاق وإلى حدّ الآن كلّ ما يوسعهم. وإذا ما بقي عليهم عمل لم يؤدّوه فلا لأنّهم لم يرغبوا بصنعه، وإنّما السبب يعود إلى أنّهم لم يستطيعوا القيام به.

منذ بداية انتصار الثورة الإسلامية الكبرى، وقفت جبهة الكفر المتحدة وجهاً لوجه أمام الإسلام المحمدي الأصيل، ولا يزال عداء هذه الجبهة المتحدة إلى الآن مستمراً. هذا لا يعني أنّه ليس هناك ثمة اختلاف في داخل هذه الجبهة،<sup>(١)</sup> بل وعلى الرغم من أنّ الاختلاف

1. قال الإمام عليّ عليه السلام فيما يتعلق بطلحة والزبير: «كل واحد منهما حامل ضبّ لصاحبه، وعمّا قليل يكشف قناعه به، والله لئن أصابوا الذي يريدون لينتزعن هذا نفس هذا، وليأتين هذا على هذا» (نهج البلاغة، الخطبة ١٤٨). هذا المشهد ينطبق على كافة الفصائل المعارضة للنظام. ولو انهم قد بلغوا وحدة تكتيكية، الا انهم وفي

يمتدّ إلى داخل مجموعة نفس التيار، إلّا أن قاسمهم المشترك ينصّ على الوقوف بوجه الثورة الإسلامية.

وفي هذا المجال كان قسماً من مؤامراتهم المشتركة تلك يتمثّل في تأليب الجماعات على النظام، وذلك عبر القيام باغتيالات لا مسؤولة، وفرض الحرب على هذا الشعب المسلم.

وكان آخر حربية اختارها الأعداء الحاقدون على الثورة الإسلامية، هي حربية (الغزو الثقافي) التي استهدفوا ومن خلالها أساس النظام وصرح الثورة، وسيكون نصيب هذه المؤامرة بعون الله تعالى، خيبة الأمل والفشل الذريع، كما أحبطت مؤامراتهم السابقة.

أث من الوسائل المهمة جداً في إحباط هذه المؤامرة، هي معرفة النفاق وصيغ عمل المنافقين، ومن حُسن البيان فإنّ القرآن الكريم قد طرح أجمل وأعمق النكات في هذا المجال.

في هذا الكتاب ستتعرفون على معالم النفاق من وجهة نظر القرآن الكريم.

لقد تمّ وضع الحجر الأساس لهذه الأبحاث في شهر رمضان من العام ١٣٧٧ هجري شمسي. بدايةً طُرحت كدرس على القادة في مقر قيادة الأركان للقوة البرية في قوات حرس الثورة الإسلامية، بعدئذٍ تطوعت وبسرعة دائرة ممثلية الولي الفقيه في القوة البرية للحرس لنشرها في صيغة كتاب.

---

دنيا الظلمة لا يمثلون سوى الاختلاف والفرقة.

وفي معرض التقدير لفخامة القيادة وممثلة الولي الفقيه في تلك الدائرة، فإنّ الكتاب كان قد تضمن أغلظاً عديدة، وفي بعض الأحيان سقوط سطر أو عدة أسطر من المواضيع، وذلك بسبب الجهد المبذول في سبيل الإسراع في إصدار الكتاب.

بعد إصدار ذلك الكتاب كنت لا زلت أفكر في مراجعته وتقويمه وإضافة مواضيع جديدة إليه، حتى وفقنا الله في دروس التفسير، والتي كانت قد ابتدأت وبعون الله تعالى منذ أحد عشر عاماً، كنت أقوم خلالها وإلى الآن في خدمة أعزائي الطلبة، وذلك في المدرسة الفيضية؛ إذ وصلنا إلى الآية ١٣٨ من سورة النساء.

لقد احتوت الآية على تهديدٍ ووعيدٍ للمنافقين بعذاب أليم بقوله تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾<sup>(١)</sup>

من هذا الجانب تمّ استبدال التفسير الموضوعي بالتفسير الترتيبي بشكل مؤقت، وعزمتنا على بحث موضوع النفاق من وجهة نظر القرآن الكريم، ليستغرق ما يقارب ١٥ حصة من شهر (اسفند ١٣٧٨/١٤٢٠هـ).

ومما زاد في إغناء البحث هو مناقشته وعرضه أيضاً بصيغة الدرس على الأفاضل والعلماء. ولذا تم الاتفاق على أن تُنَاط مهمة إعادة صياغة تدوين كتاب (النفاق في القرآن) بالسيد جواد بور روستايي.

ولمّا كان له حضور في الدرس، فضلاً عن إفادته من الكتاب السابق، والأشرطة المتوفرة عن الدرس، فإنّه وبفضل قلمه الجذاب انبرى لإعادة

1. النساء: ١٣٨.



صياغة هذا الكتاب على نحو أبلغ وأجمل؛ لتكون حصيلة جهده الحائزة  
على التقدير كتاباً، وهو هذا الذي بين أيديكم.  
أتمنى أن يفي الكتاب بدوره القيّم في سبيل تنمية وعي المجتمع  
الإسلامي والثوري إن شاء الله تعالى.

السيد أحمد الخاتمي

٣٠ محرّم الحرام ١٤٢١ هـ

١٣٧٩ / ٢ / ١٦

هجري شمسي



## الفصل الأول

### المعرفة الشاملة للنفاق



## ضرورة معرفة النفاق

### أهمية معرفة العدو

من أهم الواجبات الملقة على عاتق المؤمنين خصوصاً في النظام الإسلامي، هي معرفة العدو. ومما لا شك فيه، ومن أجل استقرار النظام الإسلامي وتثبيت دعائمه فإنه يجب معرفة الأعداء في الداخل والخارج، والتعرف على وسائلهم التي يستخدمونها في هجومهم، فبدون التعرف على مكائد وحيل الإعداء، فإنّ الجهاد ضدهم سوف لا يؤدي إلى ردعهم وإخماد أنفاسهم.

و من الممكن جداً، أن يسبب عدم توفر الوعي الكافي في معرفة العدو إلى الاحتماء بالعدو من أجل التخلص من العدو.  
يعتبر الإمام الصادق عليه السلام الوعي، والبصيرة شرطاً أساسياً لأي إقدام، فيقول:  
﴿العاملُ على غير بصيرةٍ كالسائرِ على غير الطريقِ، ولا يزيدُهُ سرعةُ السيرِ إلا بُعداً﴾<sup>(١)</sup>.

---

1. اصول الكافي: ١ / ٤٣.

مع التوجه إلى هذه الضرورة، فإنه ثمة أكثر من ألف وخمسمائة آية من آيات القرآن الكريم تدور حول معرفة العدو، وفي هذه الآيات يعرف الباري تعالى المسلمين على صنوف أعداء المؤمنين والنظام الإسلامي من الإنس والجان، كما يعرفهم بوسائل الأعداء وأساليبهم، فضلاً عن تعليمه المسلمين لطرق مواجهتهم.

وإنه ليؤكد على المسلمين بلزوم الابتعاد عنهم والتبري منهم بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾<sup>(١)</sup>

وطبقاً لآيات القرآن فإن أعداء المؤمنين يُقسَّمون إلى أربع مجاميع: المجموعة الأولى: الشيطان وشجرته وأعدائه:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾<sup>(٢)</sup>

ففي بعض الآيات يعبر الله سبحانه وتعالى عن العداة والحقد الواضحين للشيطان تجاه الناس لا سيما المؤمنين ﴿العدو المبين﴾<sup>(٣)</sup> ونتيجة لخطورة أساليب حيل الشيطان المؤدية إلى انحراف الناس، فإن الله تعالى أراد من المؤمنين أن لا يقتفوا خطوات الشيطان كما في قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ﴾<sup>(٤)</sup>

1. الممتحنة: ١.

2. فاطر: ٦.

3. كما في سورة الانعام: ١٤٢، الاعراف: ٢٢، يوسف: ٥، يس: ٦٠، الزخرف: ٦٢

و... إلخ

4. النور: ٢١.

ثاني مجموعة: الأعداء من الكفار فإنهم يعدّون ومن وجهة نظر القرآن الكريم أعداءً حيث قال:

﴿إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾<sup>(١)</sup>

المجموعة الثالثة: الأعداء، من بعض أهل الكتاب وعلى الخصوص اليهود، ويعتبر القرآن - وكما يشهد على ذلك تاريخ صدر الإسلام وإلى اليوم - أن أعدى أعداء الإسلام والمسلمين وأشدّهم عناداً هم اليهود، كما ينهى عن إقامة علاقات الصداقة معهم فقال تعالى:

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ﴾<sup>(٢)</sup>

المجموعة الرابعة: هم المنافقون، فإنّ القرآن الكريم اهتمّ بتعريف ملامح المنافقين وخصوصياتهم، والذين يعدّون من أخطر الأعداء. كما أنه عمد في أكثر من ثلاثمائة آية إلى إفشاء أحابيل المنافقين وبيان طرق مجابتههم.

لقد جاء ذكر هذه الآيات في ثلاث عشرة سورة، وستكون المحور الأساس في هذا البحث الذي يدور حول تعريف النفاق من وجهة نظر القرآن الكريم، مع أنّ هناك روايات وردت عن أهل البيت عليهم السلام هي أيضاً كان لها - وبفعل تناسبها مع الأبحاث - أن تُضفي زينةً على الكتاب.

1. النساء: ١٠١.

2. المائدة: ٨٢.

### النفاق والمنافقون في القرآن الكريم

يوجد في القرآن المجيد تأكيد كثير حول معرفة خصوصيات المنافقين المغايرة لخصائص سائر الكفار؛ وذلك بسبب وقوف الكفار في الصف المقابل للمؤمنين وبشكل واضح، وعلني يفصحون عن عدائهم. أما المنافقون، فإنهم يتلبسون بثياب الصديق، ويندسون في صفوف المؤمنين. ومن هذه الناحية، فإنهم يوجهون ضربات شديدة إلى الإسلام والمسلمين.

إن سلوك المنافقين المعضل والخفي في المجتمع من جانب، وتظاهرهم الديني المباشر من جانب آخر يؤدي إلى معرفة ما يلي:

أولاً: المعرفة الواعية الخاصة لأساليبهم الخفية.

ثانياً: أن خطورتهم أشد من خطورة الكفار والأعداء العلنيين بمرات.

يقول الإمام علي عليه السلام: «كُنْ لِلْعَدُوِّ الْمُكَاتِمِ أَشَدَّ حَذَرًا مِنْكَ لِلْعَدُوِّ

المُبَارِزِ»<sup>(١)</sup>

ويقول الشهيد الشيخ المطهري (رحمة الله) بشأن ما يتعلق بصعوبة

وأهمية التعرف على خطر النفاق في المجتمع:

«لا أتصور أنه ومن هذا الجانب ثمة تردد في أن خطر النفاق هو

أكثر جداً من خطر الكفر وأبلغ، لأن النفاق هو ذلك الكفر الخفي؛

ولكنه كفرٌ يختفي تحت ستار، وحتى ذلك الوقت الذي يقدر فيه أن

1. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ٢٠: ٣١١.



يتكشّف الستار، وتظهر فيها تلك الصورة الكريهة والقييحة، فكم من الناس سيكونون قد وقعوا ضحيةً للاحتيال والتضليل.

لماذا كان وضع التقدم لدى أمير المؤمنين عليه السلام يختلف عنه عند الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله؟! من وجهة نظرنا نحن الشيعة، ليس ثمة فرق بين علي عليه السلام وتقنياته وبين الرسول صلى الله عليه وآله، ولكن كيف للرسول وبهذه السرعة أن يتقدم ويهزم الأعداء الواحد تلو الآخر، غير أن علياً عليه السلام عندما يواجه أعداءه، يقاسي المحنة والعذاب؟ فما هذا بتقدم بالنسبة له، وفي كثير من الأوقات كان يتعرض للهزيمة من قبل الأعداء، فلماذا؟ لأن الرسول كان يقاتل أناساً هم كافرون، ولكن علياً عليه السلام هو ومنذ البداية كان ندماً للمنافقين»<sup>(١)</sup>

ويستفاد من الآية ١١٠ من سورة التوبة، أنه وفي بعض الأحيان لشدة ما تكون صورة النفاق معقدة، فإن الرسول صلى الله عليه وآله أيضاً، لا يستطيع التعرف اليهم بواسطة العلم العادي، فيعرف الله تعالى أعضاء هذه المجموعة إلى الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله بقوله تعالى:

﴿وَمَنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(٢)</sup>

وفيما يتعلق بخطر النفاق على المجتمع الإسلامي يقول الإمام

1. قضية النفاق، نقلاً عن النفاق أم الكفر الخفي: ٥٢.

2. التوبة: ١٠١.

عليّ عليه السلام في نهج البلاغة حاكياً عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله:  
 «و لقد قال لي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: إِنِّي لَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي مُؤْمِنًا وَلَا  
 مُشْرِكًا، أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَمْنَعُهُ اللَّهُ بِإِيمَانِهِ، وَأَمَّا الْمُشْرِكُ فَيَقْمَعُهُ اللَّهُ بِشِرْكِهِ،  
 وَلَكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ كُلَّ مُنَافِقِ الْجَنَانِ عَالِمِ اللِّسَانِ، فَيَقُولُ مَا تَعْرِفُونَ  
 وَيَفْعَلُ مَا تُنْكِرُونَ»<sup>(١)</sup>

وعلى أساس صورة النفاق هذه، فإنّ معضلات السنوات الخمس، في  
 زمان حكومة الإمام عليّ عليه السلام، أيام حربه مع الأعداء، كانت أكبر بكثير  
 من المعضلات التي عانى منها الرسول الله صلى الله عليه وآله.

كان رسول الإسلام يحارب أناساً شعارهم (يحيا الصنم). أما الإمام  
 عليّ عليه السلام فكان عليه أن يحارب أناساً من أصحاب الجباه السود.

لقد حارب الإمام عليّ عليه السلام قوماً كان صوت تلاوتهم الحزين للقرآن  
 في منتصف الليالي، ليفعل فعله حتى في كُميل أيضاً!<sup>(٢)</sup>  
 ولقد قاتل أناساً كانوا قد سلّوا سيوفهم عليه استناداً إلى القرآن  
 الكريم.<sup>(٣)</sup>

كانوا أشخاصاً يتمتعون بماضٍ في الحرب والجهاد في سبيل الله،  
 حتى كانوا قد بلغوا مبلغاً من التفاخر بالتعرض للإصابة في هذا المسلك،  
 لكنهم وضعوا طلب الدنيا في مواجهة الحقّ.

1. نهج البلاغة: الكتاب ٢٧.

2. بحار الانوار: ٣ / ٣٩٩.

3. سفينة البحار: ١ / ٣٨٠.

فالرسول الأكرم هو الذي أطلق على الزبير اسم (سيف الإسلام). وكان طلحة المعوق في حرب أحد.

إنَّ التعامل مع هذه الوقائع لِيَتَطَلَّبَ وعياً علوياً. والمثير هنا هو أنَّ الإمام عليٍّ عليه السلام كان يعدُّ الوعي بقتال هؤلاء جزءاً من مفاخره، فيصرِّح: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي فَقَّاتُ عَيْنَ الْفِتْنَةِ، وَلَمْ يَكُنْ لِيَجْتَرِيَّ عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِي».<sup>(١)</sup>

يأمر القرآن بأن: خذوا الاستعداد اللازم لأجل إخافة أعدائكم المكشوفين والمتسترين، لكي تصبح قدرتكم مانعاً يحجمهم عن الاعتداء. ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾<sup>(٢)</sup>

يُستفاد من هذه الآية أنَّ الاستعداد اللازم واكتساب القدرة في النظام الإسلامي، هما الوسيلتان الوحيدتان لدفع طائفة العدوان، وليس هما عاملين من عوامل الإعتداء.

والمناقفون هم من جملة الأشخاص الذين يكون ديدنهم على الدوام ممارسة العدوان ضد النظام والكيان الإسلاميين والتعرض لهما، والتصدي للاستعدادات العسكرية وللرؤية الكافية للشعب، إذ لا يفتؤون إعادة الكرة من أجل إقصائهم عن هذه الرؤية الشاملة.

يلزم التذكير بأنَّ الاستعداد لا ينحصر بالنطاق العسكري. رغم أنَّه

1. نهج البلاغة: الخطبة ٩٣.

2. الأنفال: ٦٠.

واحد من مصاديق إعداد القوة الواضحة، أمّا الإعداد لرؤية ووعي كافرين في معرفة العدو، وخصوصياته، ومعداته المستخدمة في الهجوم فهو من أهم ركائز الاستعداد لمواجهة الإعداء.

وانطلاقاً من كون المنافقين يُعدّون من أخطر الأعداء، فإنّ معرفة النفاق وخصوصيات المنافقين هي واحدة من الضرورات التي يجب أن تحظى وعلى الدوام باهتمام فكر وذهن المسلمين، كما أنّ الغفلة عن هؤلاء الأعداء ذوي الألف وجه والذين يعبدون الله على حرفٍ، بإمكانه أن يتسبب في إحداث أضرار فعلية تطل النظام الإسلامي والمسلمين.

## معنى النفاق لغة واصطلاحاً

### أصل لفظة (النفاق)

تعني لفظة النفاق: إخفاء الكفر وإظهار الإيمان. جاء استعمال النفاق بهذا المعنى لأول مرة في القرآن، حيث إنَّ العرب قبل الإسلام لم يستخدموه بهذا المعنى. كتب ابن الأثير ما يلي: وهو اسم لم يعرفه العرب بالمعنى المخصوص، وهو الذي يستر كفره ويظهر إيمانه.<sup>(١)</sup> يحتمل أربعة جذور لغوية لهذا المعنى الخاص بالنفاق:

#### الإحتمال الأوّل:

أُخِذَ من مادّة (نَفَقَ)، بمعنى ذهب وهلك. (نفقت الدابة) تعني انعدام وهلاك الحيوان.

إنّ تناسب هذا المعنى مع النفاق يتأتّى من حيث إنّ المنافق ولأجل نفاقه هو بمنزلة الميت الذي يهلك.

#### الإحتمال الثاني:

وهو الذي قد أُخِذَ من معنى (نفقت السلعة إذا راجت وكثر طلابها)، فتستعمل كلمة نفق. وعلى هذا الأساس، فإنّ العلاقة بين الأصل اللغوي وبين المفهوم الاصطلاحي للنفاق هي أنّ المنافق يروّج في الظاهر للإسلام.

#### الإحتمال الثالث:

إنّ لفظة (نفق) تكون قد أُخِذَت من معنى النفق تحت

---

1. النهاية لابن الأثير، لفظة (نفق). وأيضاً: لسان العرب، ج ١٠ ص ٣٥٩.

الأرض. (النفق سرب في الأرض له مخلص إلى مكان).

#### الاحتمال الرابع:

هو الذي أُخذ من مادة (النافقاء). فقارة الصحراء تعدّ لجحرها طريقين: واحد في العلن، يسمى (القاصعاء)، والآخر كان يعدّ مخفياً يسمّى (النافقاء)، ففي أثناء إحساسها بالخطر تسلك طريق القاصعاء، وتهرب من طريق النافقاء.

وبناءً على هذا الاحتمال في جذر لفظة النفاق، فالمنافق على صلة دائمة بطريقين للخروج، ولا ترسخ قدمه في الإيمان ولا يثبت هو عليه، مع أنّ طريقه الحقيقي هو الكفر، لكنّه بإعلانه الإسلام يدفع الخطر عن نفسه.

كلا الاحتمالين الأولين - يعني اشتقاق النفاق من نفق التي هي بمعنى الهلاك أو الترويح - لا يصادق عليهما اللغويون، ولذا يجب أن يُصرف النظر عنهما. أمّا ما يتعلق بأيّ الاحتمالين من الثالث والرابع يمثّل الجذر الأصلي، فسيكون بحاجة إلى مناقشة أكثر.

من خلال كل احتمالات هذه النقطة، يتضح وبشكل قطعي وجود عنصرين في معنى (النفاق): عنصر ذو الوجهين، وعنصر التستر.

#### معنى النفاق في القرآن والروايات

يُستعمل النفاق في القرآن والروايات بمعنيين:

١ - المعنى الأول للنفاق في القرآن والروايات هو التظاهر بالإسلام، وفي الباطن يحمل الكفر. يعبر عن هذا النفاق بالنفاق العقائدي، وأنّ مقصود القرآن في كلّ المواضع التي استعمل فيها لفظة «النفاق» هو هذا المعنى الذي يعبر عن الشخص الذي هو في الظاهر يدافع عن الاسلام،

بينما يكون في الحقيقة كافراً!

تُبَيِّنُ الآيَةُ الْأُولَى مِنْ سُورَةِ الْمُنَافِقِينَ هَذَا الْمَعْنَى:

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾<sup>(١)</sup>

وفي سورة النساء يتم تسجيل الحالة الباطنية للمنافقين على هذا النحو:

﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾<sup>(٢)</sup>

وعلى هذا الأساس فمن الممكن أن يكون بين المسلمين أشخاصٌ تظاهروا بالإسلام بشكل بحت، وهم في الباطن لا يعتقدون بالدين ولا بأحقية محتواه، أمّا ما هو غرضهم من هذا العمل؟ فسيأتي الكلام فيه عند بحث تاريخ النفاق. وكان عمل هذه المجموعة من الأفراد هو النفاق، ويُقال عنهم منافقون. وبقيناً فإسلام بعض الأشخاص الذين أسلموا إبان فتح مكة مثل أبي سفيان هو من هذا القبيل.

أثبتت الأحداث بعد الرسول ﷺ خاصة في زمن عثمان أن إسلام هؤلاء كان تكتيكياً، وفيما بعد تابعوا نفس طريق الكفر، عبر التغلغل التدريجي في سدة الخلافة والتستر تحت غطاء الإسلام.. ووصل الأمر بأبي سفيان في عهد عثمان أن جاء عند قبر حمزة وقال: «يا حمزة! إن الإسلام الذي كنّا نقاتل وإلى الأمام بسببه فاليوم يُتَلَاعَبُ به كالكرة بيد صبياننا.»<sup>(٣)</sup>

1. المنافقون: ١.

2. النساء: ٨٩.

3. قاموس الرجال ج ١٠ ص ٨٩ نقلاً عن شرح نهج البلاغة للخوئي.

وفي الأيام الأولى من خلافة عثمان، وفي مجلسٍ كان يضمّ عناصر الحزب الأموي بشكلٍ صرفٍ توجّه أبو سفيان إلى الحاضرين، وقال: والآن، بعد تيمٍ وعديٍّ (إشارة إلى عشيرة أبي بكر وعمر) ها قد آلت الخلافة إليكم، تلاقفوها تلاقف الصبيان للكفرة، واختاروا لها الدرجة من بني أمية، فهذه الخلافة هي نفس تلك الحكومة والرئاسة البشرية، واعلموا أنني لا أؤمن بجنة ولا نار.<sup>(١)</sup>

وعندما تولى أبو بكر الخلافة، كان أبو سفيان يريد - عبر تحريك الإمام عليّ عليه السلام - أن يثير الاختلاف بين المسلمين بذريعة غصب الخلافة، ولكن أمير المؤمنين عليه السلام كان يعرفه فلم يقبل دعوته، وقال: «لقد كنت منذ اليوم الأول عدوّ الإسلام والمسلمين!»، فكان منه أن مدّ يده لبيعة نفاق، فردّ يده، وأعرض بوجهه عنه.<sup>(٢)</sup>

وعلى أيّ حالٍ، فمما لا شكّ فيه أنّ أبا سفيان كان من جملة الأشخاص الذين لم يكن قد رسخ الإسلام في قلبه وروحه، وكان يظهر الإسلام فقط.

٢ - ثاني معنى للنفاق، والذي استعمل في الروايات: النفاق الأخلاقي. يعني عدم الالتزام بأحكام الدين. إنّ الشخص الذي يردّد شعار التدين لكنه لا يطبّق أوامر الدين، هو مُبتلى بالنفاق الأخلاقي.<sup>(٣)</sup>

1. الإصابة: ج ٤ / ص ٨٨

2. تفسير سورة التوبة والمنافقين، الشيخ جعفر السبحاني: ص ٢٦٧.

3. من اليقين أنّ هذه الحالات الأخلاقية هي جزء من الرذائل. أمّا أنّه هل أطلق في



بالطبع فإنّ النفاق الأخلاقي يكون في آنٍ بعداً فردياً، وفي آنٍ آخر  
بعداً اجتماعياً.

إن الشخص الذي لا يُبالي بأحكام وقيم الفرد الإسلامية فإنه يبتلى  
بالنفاق الأخلاقي الفردي، والشخص الذي لا يراعي الأحكام  
الاجتماعية وحقوق أفراد المجتمع كما أمر بها الإسلام، فإنه يُبتلى  
بالنفاق الأخلاقي الاجتماعي.

ولأجل بيان أنواع النفاق الأخلاقي الفردي، نكتفي بنقل بعض  
الروايات عن الائمة عليهم السلام.

يقول الإمام علي عليه السلام: « أَظْهَرَ النَّاسِ نِفَاقاً مَنْ أَمَرَ بِالطَّاعَةِ وَلَمْ يَعْمَلْ  
بِهَا وَنَهَى عَنِ الْمَعْصِيَةِ وَلَمْ يَنْتَهَ عَنْهَا»<sup>(١)</sup>  
وَقُلَّ عَنِ الْإِمَامِ الصَّادِقِ عليه السلام عَنِ الرَّسُولِ صلى الله عليه وآله أَنَّهُ قَالَ: «مَا زَادَ خُشُوعُ  
الْجَسَدِ عَلَى مَا فِي الْقَلْبِ فَهُوَ عِنْدَنَا نِفَاقٌ»<sup>(٢)</sup>.

الروايات على هذه الرذيلة بالنفاق أم لا؟ فهذا موضوع يجب أن يتم ايضاحه.  
العلامة المجلسي في البحار، ج ٧٢ / ص ١٠٨، يقبل بهذا الرأي الذي ينص على  
استعمال النفاق في الروايات بهذا المعنى. وعلاوة على هذا، فإن في أصول الكافي:  
ج ٢، يوجد باب تحت عنوان (صفة النفاق والمنافق) والذي تدور أكثر أحاديثه  
حول النفاق الأخلاقي الفردي والاجتماعي. وهذا بنفسه، بإمكانه أن يدل على ان  
النفاق في الروايات قد استعمل بمعنى خاص، كما أشرنا إليه (النفاق الأخلاقي).

1. غرر الحكم: الحديث ٣٢١٤.

2. أصول الكافي: ج ٢: ص ٣٩٦.

يقول الإمام السجاد عليه السلام فيما يتعلق بالنفاق الأخلاقي: «إِنَّ الْمُنَافِقَ يَنْهَى وَلَا يَنْتَهِي، وَيَأْمُرُ بِمَا لَا يَأْتِي... يُمَسِي وَهَمُّهُ الْعِشَاءُ وَهُوَ مُفْطِرٌ، وَيُصْبِحُ وَهَمُّهُ النَّوْمُ وَلَمْ يَسْهَرَ.»<sup>(١)</sup>

وطبقاً للروايات المتقدمة وغيرها المتظاهرة في هذا الإطار، فإن العالم بلا عمل، والشخص المرئي يُعدّ كلاهما من الأشخاص الذين ابتلوا بالنفاق الأخلاقي الفردي.

لقد نُقِلت عن المعصومين عليهم السلام روايات كثيرة أيضاً، تدور حول النفاق الأخلاقي الاجتماعي، فنورد بعضاً منها:

يقول الإمام السجاد عليه السلام: «إِنَّ الْمُنَافِقَ... إِنْ حَدَّثَكَ كَذِبَكَ، وَإِنْ ائْتَمَّتْهُ خَانَكَ، وَإِنْ غَبْتَ اغْتَابَكَ، وَإِنْ وَعَدَكَ أَخْلَفَكَ.»<sup>(٢)</sup>

يقول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله فيما يتعلق بأوصاف النفاق الأخلاقي: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ وَإِنْ كَانَتْ فِيهِ وَاحِدَةٌ مِّنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصَلَةٌ مِّنَ النِّفَاقِ: مَنْ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ.»<sup>(٣)</sup>

يقول الإمام علي عليه السلام: «كَثْرَةُ الْوَفَاقِ نِفَاقٌ.»<sup>(٤)</sup>  
من البديهي أن الإنسان المؤمن يتأصل في الموضوع الحق، والشخص

1. المصدر السابق: ج ٢ / ص ٣٩٦.

2. المحجة البيضاء: ج ٥ ص ٢٨٢.

3. خصال الشيخ الصدوق: ص ٢٥٤.

4. ميزان الحكمة: ج ٨ ص ٣٣٤٣.

الذي يحتل هكذا موضع لا يستطيع أن يساند الجميع، أو حتى أولئك الذين يقومون في الموضع الباطل. وبعبارة أخرى: المؤمن لا يماشى رغبات الجمهور الباطلة.

من أبرز أقسام النفاق الاجتماعي: أن يكون الشخص في تعامله الاجتماعي ومعاشرته للآخرين ذا وجهين، وذا لسانين. هذا الإنسان في حضور الشخص يمتدحه، ولكن في غيابه يذمه ويلومه.

قول الحق والصدق والصراحة هي من خصوصيات المؤمنين، وتستثنى ضرورة قول الصدق فقط في الموارد الخاصة، من قبيل الحرب، والأسرار العسكرية، والإصلاح بين الأفراد أو المجاميع. وبشكل عام، فإن ضرورة الصدق تكون مستثناة في المواضع التي تتمثل فيها المصلحة أهم ما في الأمر.<sup>(١)</sup>

يقول الرسول الأكرم ﷺ فيما يتعلّق بعاقبة هذا النوع من النفاق: «مَنْ كَانَ لَهُ وَجْهَانِ فِي الدُّنْيَا كَانَ لَهُ لِسَانَانِ مِنْ نَارِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.»<sup>(٢)</sup> ويقول الإمام الباقر عليه السلام أيضاً في ذم هذه الصورة المعبّرة عن النفاق الأخلاقي والتعريف بها: «بِسِّ الْعَبْدِ يَكُونُ ذَا وَجْهَيْنِ وَذَا لِسَانَيْنِ يُطْرِي أَخَاهُ شَاهِداً وَيَأْكُلُهُ غَائِباً إِنْ أُعْطِيَ حَسَدَهُ وَإِنْ أُبْتُلِيَ خَذَلَهُ.»<sup>(٣)</sup>

1. ولأجل الاطلاع على الموارد التي تستثنى فيها الغيبة والكذب يمكنكم مراجعة الكتب التي ألفت في مجال الأخلاق، مثل جامع السعادات، والكتب الفقهية في بحث المكاسب المحرمة.

2. المحجة البيضاء: ج ٥ ص ٢٨٠.

3. المصدر السابق: ص ٢٨٢.



## تاريخ ظهور النفاق في الإسلام

### النظرية المشهورة

أن النظرية المعروفة في بداية ظهور النفاق هي التي تحكي عن تنامي تيار النفاق في المدينة. فهذا الدليل والبيان فإن المسلمين كانوا في مكة مجموعة واحدة تخضع إلى حكم وسلطة. فمكافحة مثل هذه المجموعة لا يحتاج معه إلى عمل منافق وخفي؛ فكفّار ومشركوا مكة أيضاً تعاملوا مع المسلمين علنياً، فكانوا يعدّبونهم ويؤذونهم.

إمّا مع هجرة الرسول الأكرم ﷺ إلى المدينة فإنّ الإسلام كان قد تنفّس الصعداء واستمدّ القدرة. وهنا لما أراد بعض أعداء الإسلام مقاومة الإسلام كانوا يتظاهرون بالإسلام؛ لكي يبقوا في أمان من تصدّي المسلمين لهم والذين أصبحوا ذوي قدرة حاکمة. أمّا في الباطن فإنّهم أشبه بالأعداء المتخفين بالجراح، كانوا ينشطون ضدّ الإسلام، وهذه كانت نقطة البداية للنفاق، لا سيما أنّ أشخاصاً من الذين وجدوا أنّ سيادتهم وزعامتهم - ومع دخول الرسول إلى المدينة - قد ضاعت، فإنّهم ازدادوا حقدًا على الرسول الأكرم ﷺ. عبد الله بن أبي ضمن أفراد هذه المجموعة، وكان من المقرّر قبل هجرة الرسول أن يصبح زعيماً للأوس والخزرج (القبيلتان المتنفذتان في المدينة) ومع دخول الرسول إلى المدينة انحلّ هذا المشروع. ولو أنّه فيما بعد وبحكم الظاهر قد أسلم، إلا أنّه ومنذ البداية ومن خلال حديثه وتعامله كان ذا سلوكٍ

عنادي مع الرسول الأكرم ﷺ وحتى النهاية، وعلى الرغم من إسلامه أيضاً إلا أنه لم يتخلَّ عن أسلوبه الخاطيء المناهض. فكان زعيم حزب النفاق في المدينة، ولقد تمَّ الإفصاح عن أعماله النفاقية في بعض آيات القرآن الكريم.

ففي نفس اليوم الذي ورد فيه رسول الله المدينة، قال للرسول ﷺ: اذهب إلى من خدعوك واقتادوك إلى هذا المكان إرحل إليهم ولا تخدعنا. وبالطبع فبعد كلام عبد الله بن أبيّ هذا، جاء سعد بن عبادَةَ مباشرةً إلى الرسول، فقال: لا تحزن من كلامه، ولا تدع قلبك يغمم، فالأوس والخزرج كانوا قد قرروا أن ينصبوه رئيساً وقائداً عليهما، واليوم يرى أن ورودكم قد فوّض احلامه، واستلب منه قيادته، لذا فما أصلح أن تنزل عندنا، فنحن الخزرج أصحاب قوة وعزة.<sup>(١)</sup>

ليس من شك، في أن بداية النفاق كانت قد شرعت في المدينة، كتيار اجتماعي، والحركة التي انقلبت منظمة وحزب. فالعامل الأساسي لتشكيل التيار الاجتماعي هو النفاق، وتحكيم الحق الذي تجسّد في المدينة لأوّل مرّة في الإسلام. فمنذ بداية قدوم الرسول إلى المدينة وبلوغ الإسلام القدرة، فإننا نشهد حركات محسوبة ومريبة للمنافقين، هذه الحركات الخيانية هي أكثر لمساً في معارك الرسول ﷺ.

لقد تمّ التصريح في القرآن وبصراحة بمؤامرة المنافقين في معارك بدر، وأحد، وبنِي النضير، وتبوك، وخذعة بناء مسجد ضرار أيضاً.

1. إعلام الوری: ص ٤٤. بحار الأنوار: ج ١٩ ص ١٠٨.

ومن النماذج البارزة للأنشطة المنظمة والمتصلة ببرنامج حزب النفاق في المدينة: تثبيطهم للعزائم في معركة تبوك، ومخادعتهم في بناء مسجد ضرار.

بعد إعلان حالة التأهب من قبل الرسول، لأجل التحرك إلى منطقة تبوك، قام المنافقون بنشاط واسع. وخلاصة الأمر، فإنّ ذروة تحرك المنافقين في هذه المعركة كان وهي توشك على الابتداء.

كانت المسافة الفاصلة ما بين تبوك والمدينة هي بحدود الألف كيلومتر، وكان الجو حاراً، وموسم جني المحصول أيضاً، ومن جهة أخرى كان الجانب المواجه للمسلمين في هذه المعركة هي القوة العملاقة للروم. وبإمكان تلك الأمور أن تكون ذرائع جيدة للمنافقين من أجل ثني الناس عن الاشتراك في المعركة، في الوقت الذي استفادوا فيه من كل هذه الذرائع.

في إحدى مجالس المنافقين التي كان قد اجتمع فيها زعماء حزب النفاق، في بيت سُوَيْلِمَ اليهودي، من أجل البحث في صيغة تحول دون اشتراك الناس في المعركة، فاتفقوا على الحيلولة دون توجّه الناس إلى المعركة عبر زرع الرُعب في قلوب المسلمين خشيةً من قوة جيش الروم. وصل خبر انعقاد هذا الاجتماع والخطة التي أُعدت إلى رسول الله، فما كان من الرسول إلّا أن أمر بحرق البيت ليكون عبرة للآخرين، وتصدياً لوكر الفساد، وبؤرة التآمر على الإسلام. وبهذه الطريقة أفضل ذلك الاجتماع، وفرّق أعضائه.<sup>(١)</sup>

1. سيرة ابن هشام: ج ٢ ص ٥١٧. المنشور الخالد للقرآن: ج ٤ ص ١١٢.

و في قضية بناء مسجد ضرار أيضاً ينقلون: أنّ مجموعة من المنافقين جاءت إلى الرسول وعرضت عليه: نرجو أن تسمح لنا ببناء مسجد في وسط قبيلة بني سالم (بالقرب من مسجد قبا) حتى يتمكن العاجزون والمرضى والكهول من الذين لا يبلغون حولاً، من أداء الصلاة فيه، كما أنّ بعضاً من الناس لا يملكون القدرة على المجيء في الليالي الممطرة إلى مسجد قبا، كي يؤدّوا فريضتهم الإسلامية هناك. وبعد أن حصلوا على الرخصة من قبل الرسول، قالوا: هل يمكنك المجيء شخصياً وتقيم الصلاة فيه؟

فقال الرسول ﷺ: أنا عازم على السفر حالياً، وعند الرجوع بمشيئة الله سوف أجيء إلى ذلك المسجد، وأصلي فيه. وعندما رجع الرسول من تبوك جاوا إليه وقالوا له: والآن، نطلب منك أن تجيء إلى مسجدنا وتفتتحه. يعرض هذا المطلب في وقت لم يكن الرسول قد دخل إلى المدينة بعد.

في هذه الأثناء نزلت الآيات ١٠٧ وما بعدها من سورة التوبة، وكشفت الستار عن أسرارهم. وتعقيباً على ذلك أمر الرسول بأن يحرقوا سقف المسجد المذكور والذي كان من سعف النخيل، وأن يبعثوا بقاياها، وجعل في مكانه محلاً لالقاء نفايات المدينة.

إذا أمعنا النظر في الإطار الظاهري لعمل هذه المجموعة، فإننا سوف نقف حيرى من هكذا أمر مفاجئ. ولكن ستّضح الحقيقة عبر البحث في باطن المسألة.

بُنِيَ هذا المسجد - والذي اشتهر بعد هدمه بمسجد ضرار - بإيعاز من أبي عامر، لأجل إيجاد قاعدة في المدينة لغرض التجسس على



المؤمنين والتبليغ ضد الإسلام وزرع الفرقة بين المسلمين. كان أبو عامر نصرانياً، ومن رهبان المسيحية، وكان يُعدّ في العصر الجاهلي من العبّاد والزهاد المشهورين، وكان يتمتع بنفوذ واسع في قبيلة الخزرج.

عندما هاجر الرسول إلى المدينة واستولى المسلمون على أطرافها، وخاصة بعد أن انتصر المسلمون على المشركين في غزوة بدرٍ وسُمّيَ عزّ الإسلام، ولمّا رأى أبو عامر - الذي كان ضمن المبشرين بظهور الرسول - خلو ما حوله نهض لمقارعة الإسلام، وفرّ من المدينة إلى الكفّار في مكّة، واستمدّ العون منهم ومن قبائل العرب الأخرى لشنّ الحرب على الرسول ﷺ.

كان هذا الرجل يقود قسماً من عمليات معركة أحد ضد المسلمين، وهو الشخص الذي كان قد أمر بإيجاد الحُفَر بين كلا الصّفين من الجيشين، والتي صادف أن سقط الرسول ﷺ في إحداها وجُرحت جبهته، وكُسرت رباعيته.

انتهت غزوة أحد، ومع كلّ المشكلات التي واجهها المسلمون في هذه الساحة فإنّ صوت الإسلام أخذ يعلو أكثر فأكثر. فما أن رأى أبو عامر هذا الوضع والهزيمة التي لحقت به وبجيشه حتى فرّ من المدينة، وتوجّه إلى هرقل ملك الروم كي يستمدّ منه العون، ويتحرك بجيش من أجل سحق المسلمين.

والنقطة التي يلزم ذكرها أيضاً هنا هي أنّه من أجل نشاطاته الخيانية وتثييطه للعزائم، كان للرسول ﷺ أن يلقبه بالفاسق.

يقول البعض: إنّ الموت لم يمهلّه كي يفتح هرقل بطلبه. ولكن في بعض الكتب الأخرى نقرأ بأنّه اتصل بهرقل، وأنه أمّل على وعوده.

وعلى كل حال فإنه وقبل أن يموت أرسل إلى منافقي المدينة رسالة بشرهم فيها بأنه سوف يأتي لمساعدتهم برفقة جيش من الروم، وعلى الأخصّ قد أوصى وأكد بأن يبنوا له مركزاً في المدينة كي يكون له قاعدة لنشاطاته في المستقبل. ولكن لما كان بناء مركز كهذا في المدينة باسم أعداء الإسلام، عملياً غير ممكن، فإنّ المنافقين رأوا أن الصلاح في إجراء هذا المخطّط عملياً، وأن يتمّ تحت غطاء مسجد، وتحت عنوان مساعدة المرضى وذوي الأعداء.

وأخيراً بُني المسجد، واستطاعوا عبر تنصيب شاب صالح يدعى (مجمع بن حارثة) أن يجلبوا اهتمام مجموعة من الناس، من جملتهم عدد من المصلّين في مسجد قبا.

وبعد نزول الآيات - والتي هي موضع الإشارة - أصدر الرسول ﷺ أوامره بهدم قاعدة النفاق تلك.<sup>(١)</sup>

هذان مثالان تاريخيان، قد ذكرهما القرآن الكريم أيضاً، حيث استعرض وبوضوح نشاطات المنافقين التي كانت مُنظمة.

### تحليل النظرية المشهورة

في النظرية المشهورة، والتي تعتبر بداية النفاق في المدينة: أنّ عامل النفاق هو الخوف من سلطة الحاكم فقط، وبما أنّ المسلمين لم تكن لديهم السلطة في مكة، فالنفاق لم يتخذ له شكلاً هناك.

1. مجمع البيان: ج ٣ ص ٧٢.

فكان الخوف في المدينة فقط من سلطة المسلمين. وكان بداية النفاق في المدينة أيضاً. هذا في الوقت الذي لا يوجد دليل على هذا المطلب الذي يحصر عامل النفاق في الخوف من الحاكم وبشكلٍ صِرف، بل إنّ طمع الوصول إلى السلطة، والحصول على نصيب فيها بإمكانهما أن يكونا عاملين من عوامل النفاق، وعلى هذا الأساس يجب أن نقسم النفاق إلى قسمين: نفاق خوف ونفاق طمع.

١ - نفاق الخوف: هو نفاق الأشخاص الذين يمارسون نشاطات ضدّ

الدين عبر التظاهر بالإسلام، لخوفهم من سلطة الإسلام.

٢ - نفاق الطمع: هو نفاق الأشخاص الذين أسلموا بنية الحصول

على السلطة، وبقوة تقوى شوكة الإسلام، أو أن يكون لهم فيه نصيب.

إنّ بداية نفاق الخوف كان في المدينة؛ ذلك لأنّ المسلمين امتلكوا زمام الأمر هناك. أما بداية نفاق الطمع فينبغي أن يتفصّل أمره في مكة أكثر. فهو عقلياً لا يشتمل على أي بعد، حيث إن ثمة جماعة وعبر اطلاعهم على اتساع رقعة الإسلام، وسماعهم لبشارات الرسول الأكرم ﷺ المتكرّرة والمتعلّقة بفتح الإسلام للعالم، أخذوا يتنبّؤون بأن الإسلام الذي يعاني اليوم من الضعف، وتحت التسلّط في مكة، فإنّه في مستقبل ليس ببعيد سيتمكّن من الإمساك بزمام الأمور، وعلى هذا الأساس من التنبؤ فإنهم دخلوا في الإسلام، طمعاً في الوصول إلى السلطة مستقبلاً.

ومما تجدر الإشارة إليه فإنّ شكل نفاق الطمع وطابع عمله كان له أن

يتفاوت مع نفاق الخوف. إنّ نفاق الخوف يترافق وعلى الدوام بالتشيط عن العمل والتخريب والطمع والإيذاء والتعنّت. أمّا في نفاق الطمع

فليس للطعن في عمله حيز وحسب، بل إنه ومن أجل نجاح أحد التيارات فهو يسعى لكي يتخذ من ذلك التيار له نسقاً، ويتمكن من الإمساك بسلك السلطة. وما كان لهم أن يفعلوا شيئاً سلبياً إلا حين تتعرض مصالحهم الأساسية إلى الخطر.

إذا كان علينا أن نقبل باحتمال وجود نفاق الطمع في مكة، فليس من دليل لدينا على أن بداية ظهور النفاق كان في المدينة، في نفس الوقت الذي يطرح فيه المفسر الكبير المرحوم العلامة الطباطبائي هذا الاحتمال ويؤكد<sup>(١)</sup>.

طرح العلامة الطباطبائي من خلال تأييده لهذا المطلب سؤالاً طريفاً، فيقول: مع وجود هذا العدد من آيات القرآن المتعلقة بالمنافقين، فلماذا لم يتردد اسم للمنافقين بعد رحيل الرسول الأكرم ﷺ؟ فهل إنهم مُحوا؟ وهل أن رحلة الرسول دفعت بالمنافقين إلى التفرق والزوال، وأن المنافقين جعلوا يشيخون بوجههم عن النفاق وبسبب أنه بعد رحيل الرسول، التقي نفاق الخوف بالطمع وتحقق ما كنا يريدانه؟ استولوا على السلطة وعلناً أنشدوا على لسان شاعرهم ابن الزبير:

لعبت هاشمٌ بالملكِ فلا      خبرٌ جاء ولا وحيٌ نزل

وخلاصة الأمر: فإن ذلك النفاق الذي انتظم كثيراً، اتخذ مقرأً له في المدينة. إلا أننا لا نملك الدليل على انكار وجود النفاق الفردي عن طريق الطمع.

1. الميزان: ج ١٩ ص ٢٨٧ إلى ٢٩٠، ذيل الآية ١ إلى ٨ من سورة المنافقين.

هذا النوع من النفاق كان باستطاعته أن يتخذ له شكلاً في مكة. فالبعض من الأشخاص الذين كانوا قد أسلموا في مكة، ثم كان لهم أن يستشكروا على أوامر الرسول ﷺ فيما بعد، هم ضمن أفراد هذه المجموعة الذين كانوا منافقين واستاقهم الطمع إلى التظاهر بالإسلام.

### مرض النفاق وأعراضه

النفاق هو مرض الروح والقلب، ولقد أكدت آيات القرآن على هذه النقطة، بأن القلب السليم هو عرش الله والحرم الإلهي.<sup>(١)</sup> فغير الله ليس له مكان فيه، ولكن القلب المريض يكون محلاً لغيره فهو عرش الشيطان المليء بالهوى وحب الدنيا.

إن صريح القرآن الكريم يصف المنافقين بمرضى قلوب: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾<sup>(٢)</sup>

1. قلب المؤمن عرش الرحمن، بحار الأنوار: ج ٥٨ ص ٣٩.
2. البقرة: ١٠، المائدة: ٥٢، التوبة: ١٢٥، محمد: ٢٠ و ٢٩. ففي بعض الآيات جاء ذكر (في قلوبهم مرض) إلى جانب (المنافقين)، مثل الآية: ٤٩ من سورة الأنفال، والآية: ١٢ من سورة الأحزاب: (وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض)، فهنا يأتي هذا السؤال: هل (مرضى القلوب) هم نفس هؤلاء المنافقين، أو أنهم مجموعة أخرى غير المنافقين؟ عدّهم المرحوم العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان: (ج ١٥ ص ٢٨٦ و ج ٩ ص ٩٩) مجموعتين مستقلتين، وقال: (مرضى القلوب هم ضعفاء الإيمان، والمنافقون عبارة عن أشخاص أظهروا الإيمان وفي الباطن هم كافرون). قال البعض: مرضى القلوب هم نفس المنافقين. لكن النفاق يشتمل على درجات.

إنّ مرض النفاق المشحون بالخطر يُلحق أشدّ الأضرار بالناس ؛ وذلك لأن عامل النجاة الوحيد في الآخرة هو القلب السليم، وليس القلب المُترَع بالهوى والهوس وحب غير الله والارتباط به.

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾<sup>(١)</sup>

لقد ذكر القرآن ومن أجل معرفة هذا المرض نكاتاً مفيدة، يلزم أن تحظى باهتمام كلّ المسلمين لكي يشخصوا سلامة ومرض قلوبهم ؛ ولكي يتمكنوا أيضاً من التعرف على داء القلوب في مجتمعاتهم، فيعملوا - ومن بعد معرفة الداء - على مكافحة ظاهرة الفساد تلك.

وضمن تحليل واحد فإنه يمكن تقسيم الآيات التي وردت في القرآن وكان الغرض منها التعرف على المنافقين إلى أربعة مجاميع:

فبدية ذلك هو مرض القلب وتدرجياً يصل إلى النفاق الكامل.

ولكن مما يبدو فإنّ (المنافقين) و (الذين في قلوبهم مرض) مماثلتان للفظتي (فقير) و (مسكين). فهاتان اللفظتان لو جاءتا جنباً إلى جنب، فإنّ كلّاً منهما ستحتفظ بمعناها الخاص بها. ولكن عندما استعملت (فقير) أو (مسكين) كلّاً على حدٍ فإنه سيكون لهما معنى واحد. وعلى هذا الأساس فإنه أُشير في كلا الآيتين الى اللفظين: (المنافقين) و (في قلوبهم مرض) والذي جاء سياقهما معاً، من حيث إنّ لكلٍ منهما معنى مستقل، (المنافقون) تكون بمعنى إظهار الإسلام واستبطان الكفر، و (في قلوبهم مرض) تكون بمعنى ضعيف الإيمان، أو الدرجات الأولى للنفاق. ولكن في الموارد التي استعملت فيها (في قلوبهم مرض) لوحدها، فإنّها كانت ستعني المنافقين أيضاً، كما هو الحال مع المنافقين الذين هم أيضاً أشخاص (في قلوبهم مرض).

1. الشعراء: الآيتان ٨٨ و ٨٩.

المجموعة الأولى: آيات حدّدت السلوك السياسي والاجتماعي للمنافقين في المجتمع الإسلامي.

المجموعة الثانية: آيات بيّنت الخصوصيات الفردية للمنافقين، وعملت على تحليل وسبر غور طبيعتهم وشخصيتهم النفسية.

المجموعة الثالثة: آيات تُفشي مناحي المنافقين الثقافية.

المجموعة الرابعة: آيات تبين كيفية التعامل والتصرّف مع المنافقين.

لقد طُرِحَت في آيات المجموعة الأولى علامات داء النفاق السياسية والاجتماعية، وطُرِحَت في آيات المجموعة الثانية علاماته الفردية والنفسية.

أما المجموعة الثالثة فقد بيّنت طرق المنافقين المتخذة لأجل توسيع رقعة مرض الكفر والنفاق، وتدمير الإسلام. وفي المجموعة الرابعة تم عرض الوسائل الكفيلة بإحباط ممارساتهم. مع أنّ ثمة آيات وردت في القرآن الكريم توضّح النفاق العقائدي، ولكن الآيات التي تبحث في خصوصيات المنافقين قامت في الحقيقة بتحديد سلوكهم النفاقي، سواء كان ذلك نفاقاً عقائدياً أم لا.

إنّ الخصوصيات التي تُطرح هي المعيار لمعرفة السلوك النفاقي، وكل شخص ومجموعةٍ تنتهج مثل هذا السلوك، فسُحِسَبَ في عداد المنافقين.





## الفصل الثاني خصوصيات المنافقين السياسية

### تعزيز الروابط مع الأجنبي

#### أصول التعامل السياسي مع الأجنبي:

إنّ أوّل خصوصية تعتبر واحدة من أهم خصوصيات التعامل السياسي للمنافقين على الرغم من نهي القرآن الشديد عنها: هي تعزيز الروابط مع الأجنبي.

قبل الدخول في هذا البحث ودراسة وتحليل الآيات التي تحدد صداقة المنافقين مع الأجنبي، من الضروري أن نقوم بعرض أصول التعامل السياسي مع الأجنبي من وجهة نظر الإسلام، وبعد إيضاح نظرة الإسلام إلى التعامل مع الأجنبي والارتباط بهم سنقوم بنقد حصيلة عمل المنافقين.

#### الأصل الأوّل: معرفة الأعداء

وكما أشير من قبل، فإنّ معرفة الأعداء تُعدّ من أهمّ الواجبات الملقة على عاتق كلّ المؤمنين والمسؤولين على النظام.

ووصية القرآن المتواصلة والمتكررة بأن: اعرّفوا أعداءكم، أدركوا أهدافهم وورغباتهم حتى تستطيعوا أن تواجهوهم بكفاءة، وتمنعوهم من التسلط عليكم. أشار القرآن الكريم في آيات كثيرة إلى وصف الاجانب والاجنبي، حيث عرّف بطموحاتهم وورغباتهم كي تجتمع لدى المؤمنين المعايير اللازمة والكافية لمعرفة العدو. إنّ مواصفات العدو

واهدافه التي يعدّها القرآن لا تختصّ بزمان أو ظرفٍ معيّن، بل إنّها محدّدة لصورة العدوّ في كل زمانٍ وفي كل من الظروف.  
وهنا نشير وباختصارٍ إلى سبعة خصائص للأعداء، من وجهة نظر القرآن الكريم:

#### أ - الرغبة في الرجعية

رغبة الأعداء هي رجعية المؤمنين، والتي تعني الرجوع إلى ثقافة الجاهلية وعصر الكفر والشرك. فأولئك همّهم أن ينتزعوا الدين والقيم الإسلامية من المؤمنين ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾<sup>(١)</sup>، ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾<sup>(٢)</sup>.

فمن وجهة نظر القرآن، ثمة كفار وعدد من أهل الكتاب أيضا من الذين هم في عداة مع المؤمنين، يدأبون على إرجاع المسلمين إلى قيم الجاهلية والكفر ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾<sup>(٣)</sup> ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾<sup>(٤)</sup>.

1. النساء: الآية ٨٩

2. البقرة: الآية ٢١٧

3. آل عمران: الآية ١٤٩

4. البقرة: الآية ١٠٩

## ب - الرغبة في العدول عن أصول القيم

والرغبة الأخرى للأعداء هي أن يضطروا النظام الإسلامي والمؤمنين إلى التزلزل والعدول عن القيم. وبتعبير آخر: يتعاملون مع المؤمنين على أساس المراهنة على الأسس والقيم ﴿وَدُّوا لَوْ تَدَّهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾<sup>(١)</sup> على السياسيين الإلهيين في النظام الإسلامي أن يلتزموا بواجبهم الديني، فيكون على رأس قائمة أعمالهم حفظ الأسس والقضايا الإلهية. أما بالنسبة للسياسيين الماديين فما يكون رهن اهتمامهم هو الحكومة والسلطة فقط، بل سياستهم ليس لها من معنى سوى اجراء المصالحة والمساومة على الأسس. وهي نفس السياسة التي كان معاوية يتبناها، وكان عليّ عليه السلام رافضاً لها وبشدة، وكان يعتبرها شيطنةً وخداعاً. فكان الإمام يمتنع عن توظيف مثل تلك السياسة. ولقد قال بشأن الحكم على نهج معاوية، فضلاً عن الرد على من كان يرى في معاوية بأنه أدهى منه: «وَاللَّهِ مَا مُعَاوِيَةَ بِأَدْهَىٰ مِنِّي، وَلَكِنَّهُ يَغْدِرُ وَيَفْجُرُ، وَلَوْلَا كَرَاهِيَةُ الْغَدْرِ لَكُنْتُ مِنَ أَدْهَىٰ النَّاسِ.»<sup>(٢)</sup>

وبالرغم من توصية عدد له حتى البعض من أصدقائه والمقربين منه بالعدول عن الأسس والقيم الإسلامية، إلا أن الإمام عليّ عليه السلام وفي هذه المدة القصيرة لخلافته لم يقبل بذلك. كما هو الحال مع رسول الله صلى الله عليه وآله، فإنه ولمراتٍ عديدةٍ دُعيَ إلى إجراء المساومة على الأصول، لكنه

1. القلم: الآية ٩.

2. نهج البلاغة: الخطبة ٢٠٠.

رفضها وبشكل قاطع.<sup>(١)</sup>

ينقل بعض المفسرين عن ابن عباس: أن جمعاً من اليهود جاءوا عند الرسول ﷺ، وذلك وفقاً لتنسيقٍ مُسبقٍ لغرضِ حرفِ الرسول ﷺ عن الدين والقيم الإسلامية، فقالوا: نحن علماء وأشراف اليهود، وإذا نؤمن بك فمن المسلم أنه سوف يتبعنا سائر اليهود أيضاً، بيننا وبين جماعةٍ أُخرى يوجد نزاع، فإن حكمت في هذا النزاع لصالحنا فسنؤمن بك جميعاً.

إنّ العدالة هي من أصول قيم الإسلام، فما كان الرسول ليقبل بهذا الشرط المتضمن لتجاوز العدالة، ورفض مقترحاتهم. ولقد نزلت الآية التالية في شأن هذه الحادثة: ﴿وَأَنْ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ.﴾<sup>(٢)</sup>

وفي الآيات ٧٣ و٧٤ من سورة الإسراء تحددت شدة وسوستهم لحرف الرسول عن بعض الأسس والقيم الإسلامية، فيقول الله للرسول: لو لم تكن معصوماً، ولم يكن دعم الوحي، وقدرتك مثل قدرة سائر الناس، لكنت تُغرّم بهم قال تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِلَّا لَا تَخَذُوكَ خَلِيلاً وَلَوْلَا أَنْ تَبْتَنَّاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً﴾<sup>(٣)</sup>

1. يراجع في ذلك رسالة الخواص وعبر عاشوراء، تأليف الأستاذ السيد أحمد الخاتمي.

2. المائدة: الآية ٤٩.

3. الإسراء: الآية ٧٣ - ٧٤.

## ج - مناعون للخير

صفة أخرى لمعرفة الأعداء أشير إليها في القرآن، وهي عدم حبهم للخير. طبيعتهم العدائية تدفعهم دائماً إلى التآمر على المذهب والنظام، وهم لا يقومون بعمل الخير للمؤمنين، وليس هذا فحسب بل إنهم لا يتمنون رؤية المؤمنين يعمهم الرفاه والأمان والراحة والنصر كما في قوله تعالى: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾<sup>(١)</sup>

فليس أنهم لا يريدون الخير أن يصل إليكم وحسب، بل إن رؤيتهم لمصائبكم تفرحهم، ورؤيتهم لمسراتكم تحزنهم قال تعالى: ﴿إِنْ تَمَسَسَكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾<sup>(٢)</sup>

## د - البغض والحقد

الخصوصية الأخرى لأعداء المسلمين: هي أن كل وجودهم مملوء بغضاً وحقداً على المسلمين، فلا يقتصر هذا الحقد على قلوبهم وحسب، بل إنه يمكن مشاهدة هذا العداء عبر كلامهم وتصريحاتهم. وبسبب حقدهم هذا، فإن غاية سعيهم هو توجيه الضربة إلى الإسلام والمسلمين، وهذا لا يخفونه كما قال تعالى: ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُؤَا مَا عَتَمْتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ... وَإِذَا لَقُّوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾<sup>(٣)</sup>

1. آل عمران: الآية ١٢٠.

2. آل عمران: الآية ١٢٠.

3. آل عمران: الآيتان ١١٨ و ١١٩.

## هـ - تعمّد المباغثة

إنّ هدف وسلاح نجاح باقي الأعداء لأجل الموفقية هو أصل المباغثة، إنهم يريدون عبر تهيئة أسباب الذهول عن مواطن القوة، إضعاف المؤمنين والتسلّط عليهم. يسعون عبر إيجاد الغفلة عن الإمكانيات الاقتصادية والعسكرية، والاتحاد، والإيمان والاعتقادات الدينية، والماضي والظروف الصعبة لهم (وخاصة الأمر، فإنهم وعبر زرع الغفلة عن كل مواطن قوة المسلمين) كي يهيئوا السبب لنصرهم:

﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً﴾<sup>(١)</sup>.

لا ينبغي حصر السلاح والمتاع في الآية أعلاه بالمعدات العسكرية الخاصة والبضائع الاقتصادية، بل إنّ أيّ شيء له دور في الدفاع وإضعاف عامل النصر لدى العدو، وأيّ وسيلة ذات قيمة في هذا المجال سترتب عليه حكم السلاح والمتاع. إنّ هدف الأعداء هو إيجاد الغفلة عن مواطن القوة والوحدة، لأجل تهيئة أرضية التسلّط.

يكتب الإمام عليّ عليه السلام في عهده إلى مالك الأشر: «الْحَذَرُ كُلُّ الْحَذَرِ مِنْ عَدُوِّكَ بَعْدَ صَلَاحِهِ، فَإِنَّ الْعَدُوَّ رَبِّمَا قَارِبَ لِيَتَغَفَّلَ فَخُذْ بِالْحَزْمِ وَأَتِهِمْ فِي ذَلِكَ حُسْنَ الظَّنِّ»<sup>(٢)</sup>.

1. النساء: الآية ١٠٢.

2. نهج البلاغة: الرسالة ٥٣.

### و - المواجهة العنيفة مع المؤمنين

إنّ الخصوصية الأخرى لأعداء الدين والأمة من وجهة نظر القرآن هي: أنّهم ومن خلال التظاهر بالصدقة والثبات على المواثيق يطمحون إلى 'خداع المؤمنين، يتحدثون عن الميثاق ورعاية العقود، إلّا أنّ الاعتماد على 'العدوّ ومواثيقه عمل غير منطقي. طالما أنّهم في موقف ضعيف، فإنّهم يتحدثون عن الأخلاق والقيم الإنسانية، لكنّهم حالما يصلون إلى 'السلطة فإنّهم ينحرون كلّ القيم الإنسانية على مذبح أطماعهم الرئاسية. فالمواثيق والقيم الأخلاقية هي أدوات في أيديهم من أجل الوصول إلى منافعهم. وفي الوقت الذي يبلغون فيه مقصودهم فإنّهم لا يتحدثون بعدها عن الميثاق والقيمة الخلقية:

﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

### ز - الخيانة والعداء المستمر

الخصوصية الأخرى للأعداء هي استمرار طبيعتهم العدوانية والخيانية الميالة الى إثارة القلاقل، فإنّهم طالما لم يصلوا إلى أهدافهم فإنّهم لا يتخلّون عن إثارتهم للفتنة: ﴿لَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>.

1. التوبة: الآية ٨

2. البقرة: الآية ٢١٧.

وعلى هذا الأساس لا ينبغي اتخاذ السكوت المرحلي للعدو أو تظاهره بالصدقة دليلاً على انتهاء الخصومات، بل إنّ هذا العمل هو تغيير في سياسة العدو لا غير.

كم مرة يتم فيها الكشف عن خياناتٍ من قبل الأعداء؟ وهذا دليل واضح على أنّهم لا يتخلّون عن العدوان أبداً، إلّا في حال وصولهم إلى أهدافهم ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

إنّ الأصل الأوّل للتعامل السياسي مع الأعداء من وجهة نظر الإسلام هو معرفة المناوئ الذي تم التطرق من خلاله إلى عددٍ من صفاته. إنّ أيّ شخصٍ تتوافر فيه واحدة أو عدد من تلك الخصوصيات أعلاه فهو عدوّ من وجهة نظر القرآن، وينبغي رعاية الأصول التي يقرّها الإسلام عند إقامة أي علاقةٍ معه.

## الأصل الثاني

### الفطنة واكتساب القدرة في مقابل العدو

يوصي الإسلام المسلمين بحسن الظن في العلاقات الفردية والاجتماعية، إلّا أنّه يؤكّد عند الارتباط مع الأعداء على الحذر والحيطّة، ففي كلّ الظروف حتى في أمتن العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية ينبغي إساءة الظن والاعتداد بفطنتنا، ولا يجب

1. المائدة: الآية ١٣.



غضّ الطرف عن أصغر خطأ وأضعف مظاهر عدوانهم. يؤكد الإسلام على أن يقوم النظام الإسلامى في خضمّ مواجهته للأعداء بإعداد القدرة والقوة الكافيتين، وأن يصبح قوياً الى الحدّ الذي يحسب فيه العدو للنظام حسابه، فلا يمنحه المجال للتفكير بالعدوان أو ردّ الفعل:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

يستفاد من الآية أعلاه أنه يجب امتلاك القوة كمّاً وكيفاً لدى مواجهة الأعداء، والإعداد لكل الأسلحة الضرورية، الحديثة وغير الحديثة، من أجل الدفاع عن الدين و قدرة النظام.

إنّ عبارة ﴿ما استطعتم﴾ هي مفهوم ذات نطاقٍ واسع، يشمل الإمكانيات الحربية والاستعداد العسكري والثقافي والإقتصادي والسياسي. وفي الآية التالية فإنّ كلمة ﴿حذرو﴾ تعمق هذا المبدأ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا تُبَاتٍ أَوْ انْفِرُوا جَمِيعاً﴾<sup>(٢)</sup>. تُصدر هذه الآية أمراً - يلمّ بكلّ الجوانب - إلى كلّ المسلمين في

1. الانفال: الآية ٦٠.

2. النساء: الآية ٧١: فسر عدد من المفسرين كلمة «حذر» بالأسلحة. في الوقت الذي تعني فيه كلمة حذر معنى واسعاً ولا تعني خصوص الأسلحة والمعدات العسكرية. الآية ١٠٢ من سورة النساء تدلّل على التفاوت بين الحذر والأسلحة؛ وذلك لأنه جاء في هذه الآية كلا اللفظين، وهذا هو التفكيك الذي يعني تعدد المعنى: «أن تضعوا أسلحتكم» و«خذوا حذركم».

كلّ القرون والعصور، وذلك لأجل المحافظة على وضعهم الأمني والدفاع عن حياضهم، كي يأخذوا دائماً جانب الحيطة، فيتوافروا الدوام في اجتماعهم نوعاً من التأهب المادي والمعنوي.

إنّ معنى «جذر» واسع، فإنّ نطاقه يتسع ليشمل كلّ أداقٍ ماديةٍ ومعنوية، من جملتها: أنّ على المسلمين وفي كلّ زمانٍ أن يكونوا على علمٍ بمكان العدو ونوع سلاحه وأساليب قتاله، وحجم استعداده، وذلك لأنّ جميع هذه الموارد لها دورها المؤثّر في التوقّي من خطر العدو، وفي تحصيل الحاصل من مفهوم «الجذر».

وطبقاً لأمر الجذر فإنّ على المؤمنين ومن أجل الدفاع عن أنفسهم أن يعملوا وبأيّ شكلٍ من الأشكال على أن يضعوا وعلى رأس أعمالهم الأخذ بالاستعدادات النفسية والمعنوية، وتعبئة الطاقات الثقافية، والاقتصادية والإنسانية. هذا، بالإضافة إلى التعاطي مع أكثر اسلحة العصر تقدماً، والإحاطة بطريقة استعمالها.

### الأصل الثالث

#### منع إقامة علاقة صداقة مع الأعداء

إنّ نظرة الإسلام بالنسبة إلى التعامل السياسي مع الأعداء يرتهن بحظر إقامة علاقة الصداقة معهم. لقد منع الإسلام رابطة الصداقة - بما يتعارف عليه بالتعايش - مع الأعداء . كما أمر بالتعامل مع أعدائه والأشخاص الذين ينتهكون حرمة المقدّسات والقيم الإسلامية تعاملًا سلبياً:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ

وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١﴾ .

يقال: «هزؤاً» للكلام، والحركات الاستهزائية تطلق للحط من قيمة ذلك الشيء والنيل منه. و«لعب» يطلق على أعمال الغرض من القيام بها غير صحيح، أو أنها من الأساس لا تشتمل على هدف.

يتضمن معنى الآية أن الغيرة الدينية للمؤمن تقتضي أن يتعامل مع الأشخاص الذين يمسون بمقدّرات الدين وأهله بسوء فيتعامل معهم بطريقة سلبية، وهذا التعامل هو في نفسه يُعدّ قسماً من التقوى والتدين، لأنّ التقوى لا تنحصر في القضايا الشخصية.

ففي الآية الأولى من سورة الممتحنة أيضاً، كان إصدار النهي وبصراحة عن إقامة علاقات الصداقة مع مختلف الأعداء:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾ (٢).

ووفقاً لهذا الأصل، فإنّ جميع الأشخاص الذين لا يعتقدون بدين الاسلام وقيمه، يُحسبون من الأعداء الذين صدر النهي عن مجالستهم أو الوقوف معهم. يرى القرآن بأنّ التقارب الفكري والثقافي مع الأعداء خاصة منهم الذين يعملون على هتك حرمة المقدّسات الدينية للمسلمين يوجب الخسران. وأضاف: إذا ما كان لديكم معهم صداقة وترافق في الذهاب والإياب، فإنكم في النهاية سوف تصبحون مثلهم: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ

1. المائدة: الآيتان ٥٧ - ٥٨.

2. الممتحنة: الآية ١.

عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَفْعَدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ ﴿١﴾ .

وبالطبع، فإنّ معنى هذا الأصل لا يعني نفي العيش السلمي، وتضييع الحقوق الإنسانية لأتباع سائر المذاهب وحتى الملحدين، والنهي عن تعزيز الروابط مع البلدان غير الإسلامية، وهذا المحور ستم مناقشته في الأصل اللاحق. فمضمون الأصل الثالث هو:

إنّ على المسلمين أن يمتنعوا عن الوقوع في أسر الوهم، وتعزيز الروابط مع الأعداء، وإطاعتهم والتأثر المنفعل بهم، وأن يدركوا أنّ الأعداء ومن الناحية الفكرية والسياسية لا يمتون بالصلة إليهم.

ولقد كان المثال الذي ضربه الله لمناوئة الأعداء وإعلان البراءة يتمثل في إبراهيم عليه السلام، فبعد أن رأى نبيّ الله وأصحابه أنّ قومهم يعبدون الأصنام، تبرؤوا منهم ومن عملهم.

هذا، ومع أنّ قومهم وأقاربهم كانوا من ضمنهم إلّا أنّهم أعلنوا انفصالهم عنهم ونصب العداوة لهم: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءٌ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ﴾ <sup>(٢)</sup> .

1. آل عمران: الآية ١٤٠.

2. الممتحنة: الآية ٤.

## الأصل الرابع

### التعايش السلمي مع الأعداء غير المحاربين

ينقسم الأجنبي ومن خلال النظرية السياسية للإسلام إلى قسمين:

١ - الأعداء المحاربون، وهم الأفراد والدول التي تعادي النظام الإسلامي، وهم في تأمر وخيانة دائمين.

٢ - الأعداء غير المحاربين، وهم غير المسلمين من الذين كانوا رعايا لدى النظام الإسلامي، ويدفعون الجزية. وهم يمارسون العيش طبقاً لعقائدهم ودينهم، وذلك في نطاق المقررات التي يستنها الإسلام في البلد المسلم. أو أنهم الدول التي تعقد مع النظام الإسلامي اتفاقية حسن الجوار أو معاهدات مشابهة، وتظل على وفائها بتعهداتها الذي أخذته على نفسها.

ومع أن كلا الصنفين يعدّ عدوًّا من الناحية الفكرية والثقافية، ويدخل في نطاق الأصل الثالث، إلا أن نوع التعامل الاجتماعي يختلف مع كلٍّ من هذين الصنفين، حيث يقول القرآن الكريم بصدد السلوك المتبع مع كل منهما:

﴿لَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تُوَلُّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

يستفاد من كلا الآيتين أعلاه أن الواجب يهيب بالمسلمين بالتحرك

١. الممتحنة: الآيات ٧ - ٨.

في مقابل أي شخص أو مجموعة أو دولة تتخذ موقفاً ظالماً إزاء المؤمنين، وضد الإسلام والمسلمين، أو أن تناصر أعداء الإسلام، فيجب عليهم أن يقفوا منهم موقفاً متشدداً، وأن يقطعوا أي إرتباطٍ قائمٍ على المودة أو العلاقة الاجتماعية معهم .

أما فيما لو بقي بعض الأشخاص في موقف الحياد، ولم يناوئوا المسلمين، فينبغي العمل على مداراتهم .

وعلى هذا الأساس، فإنّ المجموعة الثانية كانت تحت حماية النظام الإسلامي، كما أنّ ممارسة الظلم تجاه هذه المجموعة لا تواجه إلّا التوبيخ، وإلى الحد الذي يقول فيه رسول الإسلام ﷺ:

«مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ فَأَنَا حَبِيبُهُ»<sup>(١)</sup>.

يتبع هذا الأسلوب مع اليهود والنصارى، ومن يتعهد بدخوله في نطاق أهل الذمة ممن يُسمى بالمعاهد، ليرتب عليه دفع الجزية طالما هو في كنف الدولة الإسلامية .

ولقد أصبح البعد الحقوقي لتعزيز الروابط مع الأعداء ضمن اهتمام الفقه الإسلامي، حيث قيل: إذا ما كان للأعداء ومن الناحية الفكرية والسياسية، أن يحفظوا حقّ التعايش السلمي، ويحترموا حقوق المسلمين، فإنّهم سيتمتعون بحقوق المواطنة، وليس لأحدٍ الحقّ في أن يتعرض لهم.

والحادثة التالية هي مثال بارز على رعاية حقوق غير المسلمين من غير المحاربين في النظام الإسلامي:

غضب الإمام عليّ عليه السلام حينما شاهد سائلاً ذمياً وقال: « كان بينكم

1. فتوح البلدان: ص ٦٧.

فاستخدمتموه، واليوم أصبح كهلاً عاجزاً، فتخليتم عنه؟! -»، ومن ثمّ، أمر بأن يُنفق عليه من بيت مال المسلمين<sup>(١)</sup>.

### سلوك المنافقين مع أهل الذمّة

والآن، وبعد أن اتّضحت الأصول الكلّية للتعامل مع غير المسلمين في الإسلام، نأتي إلى مناقشة أسلوب المنافقين في التعامل مع غير المسلمين. فيستفاد من القرآن الكريم أنّ علاقات المنافقين الوديّة جميعاً هي مع أهل الكفر، حيث كانوا يتصرفون بأنانية مفرطة في الشيطنة، فيحتقرهم غير المسلم ويسخر منهم، فضلاً عن قيامه بتحريّ عيوبهم، ومع ذلك فإنّ سعيهم ينصب في التقرب من الأعداء الإسلام، من حيث تشبّثهم الكامل بهم، وصولاً إلى التعامل الودي معهم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكُذْبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

واحدة من مظاهر ارتباط المنافقين بالكافرين، هو جلوسهم واجتماعهم المشترك، فضلاً عن حديثهم معهم المتّسم بطابع واحد. وينهى القرآن بصراحة عن مجالسة الكافرين والمستهزئين بالقيم الإلهية: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾<sup>(٣)</sup>.

1. وسائل الشيعة ج ١١: ص ٤٩.

2. المجادلة: الآية ١٤.

3. الأنعام: الآية ٦٨.

إلّا أنّ المنافقين وعلاوة على صدور مثل هذا الأمر الصريح، فإنّهم كانوا يشتركون في اجتماعات ومجالس أهل الكفر. الآية ١٤٠ من سورة النساء تمثّل التوبيخ المترتب على سلوك المنافقين هذا.

ومظهر آخر لعلاقة المنافقين مع غير المسلمين هو امتثالهم لهم بالطاعة. فتصرّح الآية ١٤٩ من سورة آل عمران بذلك حين الإشارة إلى سلوكية المنافقين هذه: فإذا ما امتثلتم أنتم للكفار بالطاعة وتولّيتموهم، كما هو الحال الذي عليه عدد من المنافقين، فإنّهم سوف يعملون على إعادتكُم إلى قيم الجاهلية والتخلّف: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يُرَدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

ومجموعة من الأعداء التي كانت دائماً تكنّ أشدّ عداوةً إلى المؤمنين هم اليهود، حيث تعدّدت في القرآن الكريم الأوصاف العامة للأعداء، وإضافةً إلى ذكر الأوصاف ففي بعض الموارد ذكرت أسماء بعض المجاميع ومنهم اليهود علاوةً على ذكر المشركين والمنافقين وغيرهم<sup>(٢)</sup>. وعبر الاهتمام بهذه النقطة، فإنّه حين نستعرض تاريخ المنافقين في زمن الرسول الأكرم ﷺ، فنجد أنّهم كانوا على علاقة بكل طائفة من طوائف اليهود الثلاث المتواجدة في المدينة. فكانوا على علاقة بيهود بني قينقاع، وبني النضير، وكذلك ببني قريظة.

1. آل عمران: ١٤٩.

2. كما في قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا.....﴾ المائدة: الآية ٨٢



### فلسفة تعزيز الروابط بين المنافقين وغيرهم من الأعداء

النقطة المهمة التي يجب تناولها بالبحث هاهنا، هي أنه ما هو هدف المنافقين من تعزيز الروابط مع غيرهم من الأعداء؟ وما هو الباعث الفكري والتحليلي الذي يضطرهم إلى هذا النوع من السلوك السياسي؟ يطرح القرآن، وعبر تحليله لجذور العلاقة القائمة بين المنافقين وسائر الأعداء هدفين: اكتساب العزة، والرعب.

#### ١- اكتساب العزة

يسعى المنافقون ومن خلال هذا السلوك الشخصي الى الحصول على الواجهة والمحبوبة والشهرة. فإنّ العقدة التي تستحوذ عليهم هي عقدة الاسم والشهرة والمنصب، لذا فهم يبذلون جهدهم للوصول الى طموحاتهم الشخصية وذلك عبر إقامة العلاقة مع سائر الأعداء.

ومن مظاهر الشرك البارزة، هو التعلق بالآخرين من أجل الوصول إلى العزة: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾<sup>(١)</sup>.

كما أنّ المنافقين -الذين يبطنون الشرك- ومن خلال إقامة العلاقة مع باقي الأعداء، وانحيازهم إليهم، فإنهم يسعون للحصول على العزة وتحقيق الكرامة:

﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِئْتَهُمْ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾<sup>(٢)</sup>.

1. مريم: الآية ٨١

2. النساء: الآية ١٣٩.

لقد اختصَّ الله بالعزة لنفسه، ولا نكون عزة الرسول ﷺ والمؤمنين إلا من عزته تعالى، ويُصرح سبحانه وتعالى بأن المنافقين وبسبب عدم إيمانهم، فإنهم سوف لا يدركون هذه الحقيقة: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

فيرى القرآن أن المصدر الوحيد للعزة هو التمسك بالعزير الأزلي العالم، ووجود المهيمن الباري تعالى:

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً﴾<sup>(٢)</sup>.

ونقل عن الرسول الأكرم ﷺ في عقب هذه الآية أنه ليس من طريق لكسب العزة سوى طاعة الله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ كُلَّ يَوْمٍ: أَنَا رَبُّكُمْ الْعَزِيزُ فَمَنْ أَرَادَ عِزَّ الدَّارَيْنِ فَلْيَطِعِ الْعَزِيزَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وبالطبع، فإذا ما وصل بعض الأشخاص ومن غير طريق طاعة الله إلى العزة وتحقيق الكرامة، فإنها لم تكن إلا وقتية. وفي النهاية، فإن هذه العزة الزائفة سوف تنقلب عليهم ذلة.

يقول الإمام علي عليه السلام: «مَنْ اعْتَزَّ بِغَيْرِ اللَّهِ أَهْلَكَهُ الْعِزُّ». «الْعَزِيزُ بِغَيْرِ اللَّهِ ذَلِيلٌ»

فإن جميع العزة بغير الله ومن وجهة نظر القرآن مثلها كمثل بيت

1. المنافقون: الآية ٨.

2. فاطر: الآية ١٠.

3. الدر المنثور، ج ٢: ص ٧١٧.

العنكبوت، والتي تُعدُّ أضعف البيوت: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

ولقد ضرب الله تعالى هذا المثال الدقيق على التشبيه البلاغي التمثيلي الدال والجميل والتشبيه البليغ والدقيق، وذلك من أجل تحديد وضع المنافقين وصفاتهم.

صُنِعَ عَشَّ الْعَنْكَبُوتِ مِنْ عَدَدٍ مِنَ الْخِيُوطِ الرَّقِيقَةِ جَدًّا، وَلَيْسَ لَهَا جِدَارٌ، وَلَا فَنَاءٌ وَلَا بَابٌ! هَذَا كُلُّهُ مِنْ جِهَةٍ، وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى فَإِنَّ إِمْكَانَاتِهِ لَا تَحْتَمِلُ الدَّوَامَ، فَهُوَ لَا يَسْتَطِيعُ مَعَهَا الصُّمُودَ ضِدًّا أَيَّ حَادِثَةٍ يَتَعَرَّضُ لَهَا، فَإِذَا مَا هَطَلَتْ عِدَّةُ قَطْرَاتٍ مَطْرٍ فَوْقَهُ فَإِنَّهَا تَحِيلُهُ إِلَى 'دِمَارٍ، وَأَقْلَ شَعْلَةٍ تَعْمَلُ عَلَى تَدْمِيرِهِ، حَتَّى إِذَا مَا تَسَاقَطَ فَوْقَهُ غَبَارٌ فَإِنَّهُ يَتَنَاطَرُ قِطْعَةً قِطْعَةً ثُمَّ يَنْتَهِي أَمْرُهُ.

فَالاعْتِمَادُ عَلَى غَيْرِ اللَّهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ بِمَا فِي ذَلِكَ الْحَصُولِ عَلَى الْعِزَّةِ وَتَحْقِيقِ الْكِرَامَةِ، هِيَ مِمَّا ثَلَّةٌ لِهَذَا الْأَمْرِ وَبِكُلِّ دَقَّةٍ، لَيْسَ لَهَا اسْتِمْرَارِيَّةٌ، ضَعِيفَةٌ، غَيْرُ مَوْثُوقٍ بِهَا، وَغَيْرُ مَقَاوِمَةٍ لِلْحَوَادِثِ. فَغَيْرُ اللَّهِ لَا يَمْتَلِكُ الْعِزَّةَ إِلَّا إِذَا وَهَبَهَا اللَّهُ لَهُ. وَإِذَا مَا تَمَكَّنَ مِنَ الْحَصُولِ عَلَى قُدْرَةِ ظَاهِرِيَّةٍ عَبْرَ التَّوَسُّلِ بِالْفِ حِيلَةٍ وَشَيْطَنَةٍ، وَدَعَمَ شَخْصٍ كِي يَعْزُهُ فَهُوَ غَيْرُ قَابِلٍ لِلثَّقَةِ؛ لِأَنَّهُ وَفِي أَيِّ وَقْتٍ تَقْتَضِي فِيهِ مَنَافِعَهُ التَّخْلِيَّ عَنْ أَكْثَرِ أَصْدِقَائِهِ الْحَمِيمِينَ، فَإِنَّهُ لِيَفْعَلْ! وَحَتَّى فِي حَالِ اقْتِدَارِهِ فَإِنَّهُ لِيَعْمَلُ عَلَى إِذْلَالِهِ.

1. العنكبوت: الآية ٤١.

## ٢ - الرعب

وثاني سبب يعلل تعزيز الروابط بين المنافقين وسائر الأعداء وانحياز المنافقين إليهم، هو الخوف من تسلط الأعداء في المستقبل، ولهذا السبب فهم يرتبطون ببقية الأعداء، حتى إذا ما تسلط العدو ذات يوم، فيسكون بوسعهم مواصلة عيشهم، فلا يتهدد الخطر ماله أو روحه! ومن وجهة نظر الإسلام، فإن ذلك الشخص الذي قد رسخت في نفسه جوهرة الإيمان لا تكون خشيته إلّا من الله وحده، ولا يسمح لنفسه أن تستحوذ عليها ذرة خوف إلّا من الله، وستتحقق خلافة الله تعالى بفعل الإيمان، فالرعب والخشية منه تعالى، وعدم التخوف من أي قوة أخرى<sup>(١)</sup>.

وفي وصف الأنبياء، يتحدث القرآن الكريم: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾<sup>(٢)</sup>.

لا يخاف الأنبياء والمؤمنون الصديقون من القوى غير الإلهية وحسب، بل إن إيمانهم وثقتهم بالقدرة الإلهية يزداد لا سيما في تلك الأوقات التي تكون فيها التهديدات المحدقة بهم أكثر: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدِ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾<sup>(٣)</sup>.

1. يراجع سورة المائدة: الآية ٤٤، البقرة: الآية ١٥٠.

2. الاحزاب: الآية ٣٩.

3. آل عمران: الآية ١٧٣.

وهذه نتيجة طبيعية للخشية الكائنة في قلوبهم من الحق، فضلاً عن تعظيم البارئ تعالى. فكلما أصبح الناس يدركون عظمة الله وقدرته وشوكته أشدّ ويقترّبون أكثر من توحيد الخالص فإنّ سائر القوى سوف تصبح في نظرهم ضعيفةً وأكثر ضعفاً.

يقول الإمام عليّ عليه السلام في وصف المتّقين: «عَظَمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ»<sup>(١)</sup>.

فإذا ما كان الإنسان كما يجدر به أن يكون - خائفاً من الله وقلبه مترع بحبّ الله فالكلّ سوف يحسب له حساب ويكنون له العزّة، ولكن إذا ما لم يرع للبارئ تعالى حرمة اللانثقة به، فإنّه كان سيصيبه الذعر من كل شيء، وهذا هو سرّ استقامة وصلابة المجاهدين في طريق الحقّ والسالكين مسار الهداية. فالقلق والاضطراب الدائمين هما اللذان دَفَعَا بأولئك إلى الانحراف عن الطريق.

يقول الإمام الصادق: «مَنْ خَافَ اللهُ أَخَافَ اللهُ مِنْهُ كُلَّ شَيْءٍ وَمَنْ لَمْ يَخَفِ اللهُ إِخَافَهُ اللهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ»<sup>(٢)</sup>.

إنّ المنافقين الذين لا يتوفّرون على أدنى درجة من الإيمان، ولا يدركون معنى التوحيد، فإنّ الخوف والرعب وغيرهما من القدرات المادية تستحوذ عليهم، وخوفاً مما يحاذرون منه في أن يتسلطّ الأعداء عليهم في المستقبل فيبادرون إلى إقامة علاقات صداقة معهم: ﴿فَتَرَى

1. نهج البلاغة، خطبة ١٩٣.

2. أصول الكافي، ج ٢: ص ٦٨.

الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ  
فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرَوْا فِي  
أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴿١﴾.

فمنطق المنافقين في تعزيز الروابط مع الأعداء هو أنهم سوف يتغلبون علينا في المستقبل، فنقيم معهم العلاقات حتى إذا ما تسلطوا علينا، سيكون بمقدورنا مواصلة عيشنا.

يقول القرآن بما في الإجابة على منطق المنافقين هذا، وصيغتهم هذه في التفكير:

عليكم بالتفكير في هذا الجانب من القضية أيضاً! فمن الممكن أن يكون الفتح من نصيب المسلمين، فيتنفذون وكذلك فهو من الحتمي له أن يحدث، ففي هذه الحالة ما الذي ستفعلونه؟ ومن المؤكد أن المسلمين سوف ينتصرون، وسوف تدمون على تصرفكم السيء.

## التمرد على الولاية

### الولاية والتولي في الإسلام

ثاني خصوصيات السلوك السياسي للمنافقين هي محاربة الولاية. وقبل البحث فيها نستعرض مكانة الولاية وضرورة التولي من وجهة نظر الإسلام، ومن ثم نذكر تحليل سلوك المنافقين والشواهد القرآنية، كمقدمة وبصورة عامة.

تعدّ الولاية وتولي الإمام من وجهة نظر الإسلام من الأصول العقائدية والأصول العملية أيضاً. فهي من الأصول العقائدية، لأن النبوة والإمامة من أصول الدين ومن الأسس العقائدية للإسلام<sup>(1)</sup>. وهي من الأصول العملية، لأنها تعدّ من اللوازم لإثبات كونه واجب الطاعة. ولكن في الأبحاث العقائدية تتمثل في الإذعان والطاعة لأوامر الولي. وفي حديث، يعدّ الإمام الباقر<sup>عليه السلام</sup>، الأسس العملية للإسلام، ثم يذكر أنّ الولاية أهمّ منها جميعاً:

«بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: عَلَى الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصَّوْمِ وَالْحَجِّ

---

1. تمثل ولاية الفقيه أيضاً استمراراً لولاية وحركة الأنبياء والأئمة<sup>عليهم السلام</sup>.

وَالْوَلَايَةَ وَلَمْ يُنَادِ بِشَيْءٍ مَا نُودِيَ بِالْوَلَايَةِ»<sup>(١)</sup>.

إنَّ التَّوَلَّى والتسليم للولاية في القرآن الكريم والسنة النبوية هما أرفع من المحبة والعلاقة القلبية. إنَّ أطروحة الولاية في الإسلام تمثل التأسيس لواحدة من أهم مقومات النظرية السياسية في الإسلام، حيث تعتبر بمنزلة العمود الفقري للنظام الإسلامي.

فإذا جاء في القرآن الكريم كلام حول ولاية الرسول الأكرم ﷺ وولاية الإمام عليّ عليه السلام، فهذه الولاية هي بمعنى الحاكمية. والتولي بمعنى الطاعة العملية لأوامر الولاية. مع أنَّ محبة أهل البيت عليه السلام أيضاً تحتفظ بمكانتها القيّمة:

﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

إنَّ لازمة النبوة والإمامة هي توفرهم على الحاكمية والولاية والتي هي المصدر لشرعية ولايتهم، والله تعالى قد أولاهم عنايته عندما منحهم الرسالة والإمامة:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾<sup>(٤)</sup>.

1. وسائل الشيعة: ج ١ / ١٠.

2. الأحزاب: الآية ٦.

3. المائدة: الآية ٥٥.

4. النساء: الآية ٦٤.



فالتولي هو مظهر العشق والمحبة للكمال المطلق، حيث تعدّ اللازمة لقبول الحاكمية الإلهية. فكل شخص يؤصل في داخله التوحيد الخالص، وحب الكمال الأصيل حتى يصبح مشتاقاً إلى 'المحجوب الإلهي، فإنه ومن المتيقن، ما كان ليكون إلّا من المسلمّين بأمر الولاية.

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾<sup>(١)</sup>.

ومن هذا الجانب فإنّ المؤمنين الحقيقيين هم الذين يؤمنون بالتولي. فقبول الولي المعين من ناحية الحقّ تعالى - والتي هي من الأوامر القرآنية الصريحة - تعدّ من صفات المؤمنين:

﴿أَتَمَّا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

فمن وجهة نظر القرآن، كان هذا المسير هو الطريق الأوحّد للسعادة، والخروج عن جادة تولى أولياء الحقّ هو بمعنى الانقلاب نحو الطاغوت والتردي في الباطل والهلاك؛ وذلك، لأنّه ليس بعد الحقّ شيء سوى الباطل<sup>(٣)</sup>.

﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

لقد كان الأنصار البارزون للرسول الأكرم ﷺ، والأئمة عليهم السلام، في

1. آل عمران: الآية ٣١.

2. النور: الآية ٥١.

3. إشارة إلى قوله تعالى في سورة يونس: ٣٢ ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾.

4. النور: الآية ٥٢.

أوج التسليم للولاية، وكان يعد من مفاخرهم . (عبدالله بن يعفور) كان من ضمن هذه المجموعة، ومن مفسري القرآن، وله درس تفسير في الكوفة، حيث كان يحضى باحترام وإجلال لدى الإمام الصادق عليه السلام. ولقد قال الإمام بشأنه:

«مَا وَجَدْتُ أَحَدًا يَقْبَلُ وَصِيَّتِي وَيَطِيعُ أَمْرِي إِلَّا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي يَعْفُورٍ»<sup>(١)</sup>.

فالتولي المطلق كان من خصوصياته. وفي أحد الأيام تحدث إلى الإمام الصادق عليه السلام: أقسم بالله، لو أن رمانة قُسمت نصفين، وترى أن نصفاً منها حلال والنصف الآخر منها حرام، فإنني لن أرى إلّا حلالك حلال وحرامك حرام.

ولقد قال له الإمام - في جوابه على هذا التسليم والطاعة - مرتين: «يرحمك الله»<sup>(٢)</sup>.

### سلوك المنافقين مع الولاية

يُستفاد من محاورات القرآن الكريم أنّ العلامة الرئيسية للنفاق هي عدم التولي، والتمرد على الولاية:

﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ \* وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾

1. قاموس الرجال: ص ٢٤١.

2. قاموس الرجال: ص ٢٤١.

إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿١﴾.

ينقلون فيما يختص بهذه الآيات أعلاه أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان بينه وبين شخص خلاف، حيث كان قد ابتاع هذا الأخير أرضاً من الإمام، وقد رأى أنّ الأرض فيها عيب بسبب وجود الحجارة فيها، فكان يريد ان يفسخ المعاملة.

فأقترح الإمام عليه بأن يحكم بينهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لكن الحكم بن العاص - وكان من المنافقين - قال للمشتري: لا تعمل هذا العمل، فإن ذهبت إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهو ابن عمه، فإنّ من المسلم أن يحكم بما ينفذ علي عليه السلام. فنزلت الآية أعلاه بهذا الشأن، حيث وبّخت الحكم بن العاص توبيخاً شديداً. وأضافت: فإذا كان الحقّ معهم والحكم سيتخذ طريقة لصالحهم، فإنهم يتوجهون وبسرعة إليهم، والآن يرون الحقّ ليس معهم، وعن حكم الرسول يعرضون.

فالمنافقون وانطلاقاً من حيث إنهم أعداء لحاكمية الحقّ وحكومة النظام الإسلامي، وغرضهم إيجاد سلطة طاغوتية، فهم في تمرد دائم على النظام الإسلامي، وأهم ركن فيه هو الولاية، حيث يجسّدون عداءهم وحقدهم هذا وبصيغ مختلفة.

وبالطبع، فإنّ ثمة تفاوت واسع بين التوليّي الواقعي وشعار الإقرار بالتوليّي، فالمنافقون لم يكونوا ليبرزوا علناً تمردهم على الولاية وحسب، بل إنهم وعبر شعار التوليّي كانوا يظهرن، وأكثر من أي أحد آخر، إنهم

1. النور: الآيتان ٤٧ - ٤٨.

مسلمين للولاية، أمّا في الواقع فإنّهم كانوا منشغلين ومن دون انقطاع بفكرة ونظرية التمرد على الولاية والإقدام العملي ضدها.

### المظاهر العملية للتمرد على الولاية

وكما أنّ تولّي المؤمنين له مظهر خاص كذلك فإنّ التمرد على الولاية من قبل المنافقين هو الآخر ينطوي على مظاهر، ومن هذا الجانب يمكن التعرف على مجرى النفاق.

فثمة عدد من الموارد التي تختص بنقض المنافقين للولاية، قد ذكرها القرآن، وستأتي تباعاً.

### أ - عدم قبول الحكومة الدينية

إنّ من أهم مظاهر تمرد المنافقين على الولاية هو امتناعهم عن قبول الحكومة الدينية، ورفضهم لحاكمية النظام الإسلامي.

ففي النظرية السياسية للإسلام، تُعدّ الولاية أهم ركن في النظام الإسلامي، ومن دون الولاية فالنظام الإسلامي ومهما كان فإنّه يكون نظاماً طاغوتياً.

يرى القرآن أنّ معيار الإيمان هو التسليم والتولّي القلبي والعملي لأوامر الولاية: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾<sup>(١)</sup>. ولقد ورد التصريح بهذه النقطة في الروايات أيضاً، حتّى في الوقت

1. النساء: الآية ٦٥.

الذي لا يكون فيه النظام الإسلامي قائماً، فإنه لا يجب على أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام أن يقبلوا حكومة الطاغوت، وفي هذه الحالة فإن ما يترتب عليهم في زمان حكومة النظام الإسلامي، من واجب.. هو واضح وبالكامل.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: ﴿مَنْ تَحَاكَمَ إِلَيْهِمْ فِي حَقٍّ أَوْ بَاطِلٍ فَإِنَّمَا تَحَاكَمَ إِلَى الطَّاغُوتِ وَمَا يَحْكُمُ لَهُ فَإِنَّمَا يَأْخُذُ سِحْتًا وَإِنْ كَانَ حَقُّهُ ثَابِتًا لِأَنَّهُ أَخَذَهُ بِحُكْمِ الطَّاغُوتِ وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ أَنْ يُكْفَرَ بِهِ﴾<sup>(١)</sup>.

ومن الخصوصيات البارزة للنفاق أيضاً هي نفي الحكومة الدينية، والركون إلى حكومة الآخرين وسلطتهم، فالمنافقون لا يقبلون بحاكمية الدين والرسول صلى الله عليه وآله. أما حكومة الطاغوت، فإنهم يقبلونها بالروح والقلب: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾<sup>(٢)</sup>.  
لقد جاء في التفاسير أن منافقاً تنازع مع يهودي، فدعاه الشخص اليهودي إلى أن يحكم بينهما الرسول صلى الله عليه وآله، وقال: نسلم بكل ما يحكم به الرسول صلى الله عليه وآله. ولكن ذلك المنافق لم يقبل بتحكيم الرسول، ورضي بتحكيم (كعب بن أشرف اليهودي). فهذه الآية المتقدمة، كانت بمقام التوبيخ لهذا التصرف السياسي القبيح<sup>(٣)</sup>.

1. وسائل الشيعة: ج ١٨ ص ٣.

2. النساء: الآية ٦٠.

3. مواهب الرحمن: ج ٨ ص ٢٥٣.

كان المنافقون دائماً يقفون بوجه أوامر الرسول ﷺ، فما كانوا يسلمون إلى الحق ويأتمرون به، ولا كانوا يسمحون للآخرين بالامتثال له:

﴿ إِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُتَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾<sup>(١)</sup>.

فالمنافقون ليس إنهم لا يقبلون بسلطة الدين، ولا الركون إليه، وحسب، بل أنهم وعلى الدوام يعملون على إضعاف سلطة النظام الإسلامي وسلطة الدين.

من الصيغ التي كان يستخدمها المنافقون لإضعاف حكومة الرسول هي، أنهم كانوا يوصون بخلق المشكلات والحصار الاقتصادي والاحتكار، وهي صيغة اعتمدها الأعداء دائماً، واليوم يستفدون من هذه الحرب أيضاً، من أجل إضعاف النظام الإسلامي:

﴿ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِن عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُوا ﴾<sup>(٢)</sup>.

كانت مؤامرة عبدالله بن أبيّ ضدّ الرسول ﷺ تهدف إلى حظر أي نوع صدر التعامل مع المهاجرين أو الأشخاص المحيطين برسول الله ﷺ؛ كي يتفرق أنصار الرسول من حوله جرّاء المشكلات المعيشية والاقتصادية، وهو ما يماثل وبدقة ذلك السلوك الذي كان يتبعه مشركو قريش في مكة ضدّ الرسول، حيث وقع كبار قريش على وثيقة علّقوها فوق جدار الكعبة،

1. النساء: الآية ٦١.

2. المنافقون: الآية ٧.

والتي منعوا من خلالها قيام أي علاقة اجتماعية واقتصادية مع المسلمين، وليس لأي أحد أن يزوج أحداً من بني هاشم، ولا من الرسول ﷺ، ولا من أنصاره، ولا حتى أن يتزوج منهم. فضلاً عن أن الوثيقة منعت الاتفاق على أي معاهدة دفاع مشترك مع بني هاشم. وانتهت المؤامرة، ولكن ورغم كل المصاعب والمشكلات التي وقعت أعبأوها على المسلمين بفعل إمضاء هذه الوثيقة، فإن خطة المشركين لم يترتب عليها أثر، بسبب صمود وثبات الرسول وأنصاره، كما أنها زادت من قوة الإسلام.

ومما يعجب له هو أن هذه الخطة ومن بعد رحيل الرسول، تم إجراؤها بحق وصيه بالحق الإمام عليّ عليه السلام. فاعتصبوا فدكاً من السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام كي يحطموا الركن الاقتصادي لقدرة الإمام علي .

### ب - المخالفة العملية لأوامر الولاية

والمظهر الآخر لتمرد المنافقين على الولاية هو المخالفة العملية لأوامر الولاية.

ففي الآية ٥١ من سورة النور، والتي تم تناولها فيما مضى، عدّ من يليي أوامر الولاية واتباعها في ضمن المؤمنين الحقيقيين. أمّا المنافقون فهم الذين لا يقبلون بسلطة الدين، وإذا ادّعوا في الظاهر أنهم تبع لها، فإنهم بالفعل كانوا يعملون خلاف أوامر الولي:

﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ ﴾<sup>(١)</sup>.

1. النساء: الآية ٨١

يرى القرآن الكريم أنّ واحدة من مصاديق الإيمان والنفاق هو التواجد في الساحة الاجتماعية والسياسية، وأنّ مغادرة مثل هذه السوح تكون منوطة بإذن الرسول ﷺ:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾<sup>(١)</sup>.

لقد كان حنظلة (غسيل الملائكة) واحداً من مصاديق الآية أعلاه، ففي ليلة زفافه كان المسلمون يتحركون صوب أحد، فاستحصل حنظلة على رخصة من الرسول ﷺ كي يبقى تلك الليلة إلى جانب زوجته، كي يلتحق بالمسلمين صبيحة اليوم التالي، فأجازه الرسول، وفي اليوم اللاحق التحق بالمسلمين واستعدّ للجهاد، ولقد استشهد في تلك المعركة، وبعد شهادته قال الرسول ﷺ: رأيت الملائكة تغسل حنظلة.

وفي مقابل هذا التحرك الإيماني هناك حركة المنافقين في معركة الأحزاب، ففي هذه المعركة كان الرسول قد أوكل بحفر كل قسم من الخندق إلى عشرة أشخاص، وفي الحين الذي يلاحظ فيه المنافقون أعين المسلمين قد انصرفت عنهم، كانوا يتقاعسون عن العمل.

وعندما كان المسلمون يلتفتون إليهم، فإنهم كانوا ينشغلون في العمل. والآية الآتية تشير إلى هذا العمل النفاقي:

﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلُّونَ مِنْكُمْ لَوْ آذَأَ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ

1. النور: الآية ٦٢.



عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ .  
 والآية الأخرى التي تظهر عصيان المنافقين العملي لأوامر  
 الرسول ﷺ هي الآية ٨١ من سورة التوبة، فإن الله جل وعلا في هذه  
 الآية والآيات اللاحقة قد ندّد بأعمالهم وبشدّة، وتوعّدهم بعذاب شديد:  
 ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا  
 بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ  
 حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ \* فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا  
 يَكْسِبُونَ ﴿٢﴾ .

ومما يستشف من لحن الآية، فإنّ عدداً من المنافقين لم يكونوا  
 ليشاركوا في معارك الرسول ﷺ، فهم لم يندموا على إتيانهم هذا  
 العمل القبيح وحسب، بل إنهم كانوا فرحين ومسرورين بهذا التخلف،  
 والأدهى من ذلك أنّهم كانوا يحرضون الناس ومن خلال دعاياتهم  
 السيئة على الامتناع عن الحضور في ساحة الجهاد.

### ج - هتك حرمة الولاية

والمظهر الآخر لتمرد المنافقين على الولاية هو هتك حرم الولاية.  
 فلقد شخّص القرآن حرّمات للولاية، وأوجب على المسلمين  
 المحافظة عليها.

1. النور: الآية ٦٣.

2. التوبة: الآيتان ٨١ - ٨٢.

فأول حرمة هي عندما تُصدر الولاية أمراً فيجب الامتثال لأمرها دون كيف؟ ولماذا؟ لأنّ الولي إن لم يُطع فإنه سوف لا يبلغ النظام الإسلامي مبلغه:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾<sup>(١)</sup>.

فبعد صدور الأمر من الولي، ليس هناك مجال لإظهار الرأي والسليقة الشخصية والاستشكال. فعلاوة على عصيان المناققين لأوامر الولي كانوا يستهدفون هتك حرمة الولاية، فضلاً عن دعوة الآخرين إلى التمرد.

ففي الآية ٨١ من سورة التوبة<sup>(٢)</sup>، يظهر بوضوح رضا وابتهاج المخالفين أمر الرسول ﷺ. وبالطبع فإن لزوم تنفيذ أوامر الولاية ومن دون كيف؟ ولماذا؟ لا يتعارض مع قضية النصح والتشاور والتذكير.

حتى الوقت الذي لم يُصدر فيه الولي حكماً أو أمراً فلا يكون الجميع في رخصة منه وحسب، بل إنه من الواجب ومن باب (النصيحة لأئمة المسلمين)، أن يُدلّوا بأرائهم بين يدي الولي.

أمّا وعندما تكون الولاية قد وقّعت على قرارها فالجميع مكلف بالطاعة، حتى أولئك الذين كانوا في عداد المخالفين إبان مرحلة الاستشارة، فليس لأي أحدٍ وتحت ذريعة مخالفته لهذا الرأي أن يهّم بالعصيان.

1. الأحزاب: الآية ٣٦.

2. وهي قوله تعالى: ﴿فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وانفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون﴾

اقترح ابن عباس على الإمام عليّ عليه السلام، بأن يبقي معاوية في منصبه، وأن يسند ولاية البصرة والكوفة إلى طلحة والزبير، وبعد أن تهدأ الأوضاع يقوم بعزلهم. ومن ضمن رفض الإمام لمقترحه قال:

«لَا أَفْسِدُ دِينِي بِدُنْيَا غَيْرِي، لَكَ أَنْ تُشِيرَ عَلَيَّ وَأَرَى، فَإِنْ عَصَيْتَكَ فَأَطِعْنِي»<sup>(١)</sup>.

هناك الكثير من الروايات في مورد (إسداء النصح والموعظة) خاصة لقياديين المجتمع الإسلامي، واعتبرت ذينك العملين ذات قيمة سامية، وإنهما من الواجبات الملقة على عواتق أبناء الأمة.

يرى الإمام عليّ عليه السلام أن أحد حقوق القائد على الناس إسداء النصيحة والموعظة الحسنة:

«وَأَمَّا حَقِّي عَلَيْكُمْ النَّصِيحَةُ فِي الْمَشْهَدِ وَالْمَغِيبِ»<sup>(٢)</sup>.

كما كان يطلب الإمام من صحابة الرسول، وأصحابه الصالحين والبارزين، بعد اعتزازه واحتفائه بهم، أن يعينوه بإسداء النصح، ومن دون غلٍّ ولا غشٍّ:

«... فَأَعِينُونِي بِمُنَاصِحَةٍ خَلِيَّةٍ مِنَ الْعِشِّ سَلِيمَةٍ مِنَ الرَّيْبِ»<sup>(٣)</sup>.

إذن فإن إسداء النصح والموعظة، لا سيما نصح المجتمع لقياديين

1. نهج البلاغة: الحكمة ٣٢١. وأيضاً يراجع: تاريخ الطبري: ج ٦، ص ٣٠٨٩،

وكذلك: مروج الذهب، ج ٢ ص ٣٦٥.

2. نهج البلاغة: الخطبة ٣٤.

3. نهج البلاغة: الخطبة ١١٨.

النظام الإسلامي، له قيمة بالغة وواجب، شريطة أن يتضمننا مصداق النصح الحقيقي. وبناءً على ذلك فإنَّ تقصّي العيب مع تغليب الحقد ليس بنصح. فما كان ليعدّ تحكيم إثارة الشغب وطرح التهم غير الصحيحة بنصح، وإصدار الأحكام المتسرّعة والشخصية ليست بنصح. ولم يتم السكوت على هذه النقطة في أوامر الولاية، فإنّه كان يجب التسليم لها، سواء الأمر الصادر عن ولاية المعصوم، أو الأمر الصادر عن ولاية ولي الفقيه. وهذا هو نفس ما جاء أيضاً في القرآن. ولقد طُرح كذلك في الفقه تحت عنوان (حرمة نقض حكم الحاكم من قبل المجتهدين الآخرين).

وبالطبع ففي حال عدم تواجد حكم إلهي أو حكم صادر عن الولاية، فإنّ لكلّ مسلم الحقّ في التعبير عن رأيه. ولم يكن الرسول ﷺ في أي وقتٍ يمنع التعبير عن حرية الرأي، بل إنّه كان يحفّز أيضاً مَنْ يريد أن يُبدي برأيه.

ففي معركة الخندق صادق الرسول ﷺ على مشورة سلمان (رض) المبتنية على حفر الخندق. فقال سلمان للرسول ﷺ: كان في بلاد فارس، وعند كل مرة يواجه الناس فيها هجوماً خطيراً للعدو، فإنّهم يعمدون إلى حفر خندقٍ حول المدينة، وبهذه الوسيلة يعملون على الحدّ من تقدم العدو، لذا فمن الأحسن أن نحصّن ثغور المدينة المستمكنة والتي تُستخدم بسهولة لعبور ومرور المعدات الحربية ووسائل النقل والتموين للعدو، وذلك بواسطة حفر الخندق، ونمنع من تقدم العدو في ذلك الجانب. وعبر تشييد الأبراج وإيجاد الخروق في

جوانب الخندق ننشغل بالدفاع. وبتأييد الرسول لهذا الرأي، انشغل هو الآخر بحفر الخندق<sup>(١)</sup>.

وفي آيةٍ أُخرى، يصرِّح القرآن الكريم بلزوم التقيّد بأوامر الولي وعدم التقدم عليها.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾<sup>(٢)</sup>.

التقدم على الله والرسول يعني تفعيل السليقة الشخصية في قبالة أمر الله ورسوله الصريحين، وطرح رأي آخر مواجه قرار الله تعالى والرسول ﷺ.

إنّ التقدم على الولاية يعني تحريف كلام وأوامر الرسول بالشكل الذي يلائم مسار نفس الشخص. ولقد وجّه الإمام الصادق عليه السلام اللعن على مثل هذا التحريف المجحف:

«قَوْمٌ يَزْعُمُونَ: أَنِّي إِمَامُهُمْ، وَاللَّهِ مَا أَنَا بِإِمَامٍ لَهُمْ، لَعَنَهُمُ اللَّهُ، كَلَّمَا سَتَرْتُ سِرًّا هَتَكُوهُ، أَقُولُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُونَ: إِنَّمَا يَعْنِي كَذَا وَكَذَا. إِنَّمَا أَنَا إِمَامٌ مَنْ أَطَاعَنِي»<sup>(٣)</sup>.

وعلى كلّ حال فإنّ واحدةً من حرّمات الولاية هي لزوم اتباع أوامر الولي ومن دون لماذا؟ وكيف؟. بينما صيغة المنافقين تتمثل في عدم الانصياع لأوامر الرسول، والعمل على هتك حرّمته. طبعاً وكما تمّ

1. تاريخ الطبري: ج ٢: ص ٢٢٤. وأيضاً: فروغ ابديت (= الشعاع الأبدي): ج ٢ ص ٥٣٥.

2. الحجرات: الآية ١.

3. بحار الانوار، ج ٦٨: ص ١٦٤.

إيضاحه فإنَّ التبعية المجرّدة من التردد والاعتراض لا تتعارض مع ضرورة إسداء النصح لقياديي المجتمع.

والحرمة الأخرى التي يبيّنها القرآن الكريم بالنسبة للولاية هي لزوم احترام الولي، فإنَّ الأمر الذي جاء في القرآن المجيد يوعز بخفض الصوت حين المثول بين يدي الرسول ﷺ ليكون ذلك بمثابة رمزٍ لأحد مصاديق رعاية احترام الولي:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ ﴾<sup>(١)</sup>.

وفي آية أخرى، أوصت بهذا المضمون أيضاً:

﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً ﴾<sup>(٢)</sup>.

تعلّم كلا الآيتين اعلاه المؤمنين الصيغة الصحيحة للتعامل مع الولي، كما تندد بسلوك المنافقين القبيح مع الرسول ﷺ. والعمل الآخر من أعمال المنافقين بغية انتهاك حرمة الولاية هو اعتبار الولي مغفلاً:

1. الحجرات: الآية ٢.

2. النور: الآية ٦٣. يوجد لهذا القسم من الآية تفسيران: أحدهما، هو الذي جاء في النص: (النداء على الرسول باحترام)، والتفسير الثاني الذي يؤكد عليه العلامة الطباطبائي، هو أن الآية تتحدث عن دعوة الرسول. فمفهوم الآية هو أنه وعندما يدعوكم الرسول الى شيء ما، فإنما يدعوكم من حيث انه القائد الالهي والداعية اليه. فلا يجب أن تفهموا دعوة الرسول على أنها دعوة بسيطة وعادية.

﴿ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ الرَّسُولَ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ﴾<sup>(١)</sup>.

والصيغة الأخرى من أجل انتهاك حرمة الولاية، وعدم احترامهم للوئي، هو الانتقاص من أعمال الرسول والاحتجاج عليها. فقد اعترض على الرسول ﷺ (حرقوص بن زهير) الذي غدا زعيماً للخوارج فيما بعد، في تقسيم غنائم معركة حُنين، وقال: اعدل يا محمد! فقال الرسول ﷺ: من هو اعدل مني؟ فأراد أحد المسلمين وبسبب إساءة الأدب هذه أن يقتل حرقوص، فقال الرسول ﷺ: خلوا عنه، سيكون له أعوان، لشدما يتعبدون، حتى لتعدون عبادتكم بالنسبة إلى عبادتهم لا شيء، ولكن مع كل هذه العبادة، فهم ينسلون من الدين<sup>(٢)</sup>. ولقد هلك حرقوص هذا في معركة النهروان على يد الإمام علي<sup>(٣)</sup>.

نزلت الآية التالية في ذم سلوك حرقوص وعدد من المنافقين الذين كانوا يرومون اغتيال شخصية الرسول ﷺ:

﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسَخَطُونَ ﴾<sup>(٤)</sup>.

1. التوبة: الآية ٦١

2. الدر المنثور: ذيل الآية ٥٨ من سورة التوبة.

3. أسد الغابة: ج ١ ص ٤٧٤.

4. التوبة: ٥٨. ثمة تفاوت ما بين معنى اللمز والنصح: فاللمز يقال لتقصي العيب مع تغليب الحقد، والذي يتمثل في هدف إسقاط الشخص.





## سائر الخصوصيات السياسية للمنافقين

### الانتهازية

من وجهة نظر القرآن، فإنّ من خصوصيات المنافقين السياسية هي الانتهازية. وما يُعدّ مهماً بالنسبة لهم هي منافعهم وحسب، وهذا هو السرّ في تعاطيهم للنفاق.

والمصداق البارز للانتهازية لديهم والذي صرّح به القرآن في عدد من الموارد، هو انتهازهم للفرصة في كسب الغنائم، والفرار من ساحات المعركة. ففي كل معركةٍ ينتصر فيها المسلمون فإنّهم يُظهرون أنفسهم مباشرة إلى جانب المسلمين، كي يفوزوا بغنائم المعركة. ولمّا يتعرض المسلمون إلى خسارة، فإنّهم كانوا وعلى الفور يقولون لإعداء المسلمين: أما قلنا لكم ان دولة الاسلام ما هي إلّا دولة طارئة، وسيكون النصر من حليفكم؟! فادفعوا لنا أيضاً سهمنا!

يصف القرآن انتهازية المنافقين قائلاً:

﴿ الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ لُحْمٌ فَتَحُّ مِنْهُ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعُكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى

الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١﴾.

إن الانتهازيين لا يُصاحِبون المؤمنين إبان الأزمات والمصاعب، إلّا أنّه إذا ما تراءى الفتح والنصر، فتراهم يتهافتون، وبكل وقاحة يطالبون بدفع سهمهم.

إن الآية الكريمة التالية، تُبيّن انتهازية المنافقين وبشكل أوضح:  
﴿أَشْحَهَّ عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِاللِّسِنِ جَدَادٍ أَشْحَهَّ عَلَى الْخَيْرِ﴾ (٢).

وفي الآية ٢٠ من سورة الأحزاب إشارة إلى تصوير هروبهم من المواجهات العصبية واللحظات الحساسة والمتأزمة بالشكل الذي تجدهم فيه:

﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٣).

1. النساء: ١٤١. النقطة الطريفة هي أنه تم التعبير عن نصر المسلمين في هذه الآية بالفتح، هذا في الوقت الذي صار التعبير عن نصر الكفار بالنصب، إشارة إلى أنه إذا كانت الانتصارات من نصيبهم فهي مؤقتة وغير دائمية، بينما أن الفتح والنصر النهائيين هو حليف المؤمنين. وفي ذيل هذه الآية تم التصريح بأن الكافرين سوف لا يكون لهم تسلط على المؤمنين.

2. الأحزاب: الآية ١٩.

3. الأحزاب: الآية ٢٠.

يُستفاد من الآيتين أعلاه أنّ المنافقين بخلاء - فوق حدود التصور - مع المسلمين، وهم غير مستعدين لإبداء أيّ تعاونٍ مع المسلمين أو مساندة لهم، فلا يساعدون مالياً، ولا يمدّون بالأنفس، ولا يسهمون بالمساعدة الفكرية، وبالكامل فهم أعداء.

ففي الوقت الذي يدور فيه الحديث عن الإيثار والشهادة، فهم فوق حدود التصور جبناء، كما لو أنّهم شارفوا على الموت من شدّة الخوف، ولكن حين يزول الخطر يدخلون إلى الساحة بغطرسة، ويطلبون الغنائم<sup>(١)</sup>.

أولئك يحبون أن يقفوا وعلى الدوام موقف المتفرج، وبتعبير آخر: يكونون على جانب من مشارف العمق. فهم لا يرغبون في دخول الميدان إلّا إذا كانوا في اطمئنانٍ كاملٍ بأنّه ليس هنالك من خطر يهدّدهم، وإذا كان الكلام يدور يدور حول الغنائم فقط، فسيدخلون عندها لجمع الغنائم.

ينقلون في التاريخ أنّ الرسول الأكرم ﷺ قال أثناء معركة خيبر: غنائم خيبر تختصّ بأناسٍ قد اشتركوا في صلح الحديبية (بشروطها

1. سلقوكم التي وردت في الآية ١٩: من أصل سلق بمعنى فتح شيء بغضب وعصبية. سواء يتم السحب باليد أو باللسان. هذا التعبير يستعمل بصدد الأشخاص الذين يصرخون ويطلبون شيئاً بصوت أمر ومتغطرس. فالألسن الحداد هي اللسان الحادة والقاسية، وهي كناية عن شدة العنف.

الصعبة). فالمنافقون كانوا قد أعرضوا عن الحضور في الحديبية، ولكن لديهم رغبة أن يشتركوا في هذه المعركة - التي كانوا قد تنبؤوا فيها بأن المسلمين سوف يغنمون الغنائم الكثيرة فيها - كي يحصلوا على الغنائم منها، فالرسول وبهذا الأمر كان قد حدّ من انتهازيتهم. ولو أن المنافقين كانوا قد احتجوا على الرسول ﷺ والمسلمين واتهموهم بالحسد. ولقد نزلت الآية التالية في هذا الأمر:

﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِنَاخُدُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسَدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾<sup>(١)</sup>.

إذا راجعنا تاريخ صدر الإسلام حتى يومنا هذا فإننا سوف نحيط بهذه النقطة، وهي أن أكثر الضربات التي تلقاها المسلمون وعلى مدى تاريخ الإسلام، كان مصدرها نفوذ الانتهازيين بين صفوف المسلمين. وهكذا كان بنو أمية الذين توالى حكمهم على أمة الإسلام ولألف شهر، والجنايات والفجائع التي ارتكبوها في تاريخ حكمهم المشين، فهم نموذج لنفوذ الحالة الانتهازية في الإسلام. فأبو سفيان لم يكن له من حلّ سوى أن يسلم، ولم يدخل الإيمان في قلبه أبداً، حيث نفذ منتهزاً الفرصة وبسرعة إلى أعلى المناصب في الحكومة، إلى الحدّ الذي بلغ به إبان حكومة عثمان إعتلاء سلطة كبيرة وحتى قبل خلافة عثمان، فإنّ حكومة الشام كانت بين أيدي أولاده وبالكامل.

1. الفتح: الآية ١٥.

وقضية بني العباس أيضاً هي الأخرى تعتبر قضية مثيرة للعبارة والجدل لكل المخلصين للثورة. فهم ثاروا عبر الاستفادة من محبوبية أهل البيت عليهم السلام وباسم الرضا من آل محمد عليهم السلام، فجمعوا الناس حولهم، وفي النهاية عندما انتصروا ووصلوا إلى 'سدة الحكم، ظلموا أهل البيت كما فعل بنو أمية. وتقريباً فإن بنو أمية قد استشهد على أيديهم نصف عدد الأئمة عليهم السلام، والنصف الآخر منهم كان على يد بني العباس. والإمام الصادق عليه السلام كان ومنذ البداية يعلم بقضية الانتهازية. فعندما كتب أبو مسلم الخراساني رسالة إليه، وقال: استعد، فنحن حاضرون لتسليمكم الخلافة، فقال الإمام:

«مَا أَنْتَ مِنْ رَجَالِي وَلَا الزَّمَانُ زَمَانِي»<sup>(١)</sup>.

وعندما كتب (أبو سلمة الخلال) وهو من أتباع بني العباس رسالة إلى الإمام يمثل هذا المضمون، فإن الإمام أحرق رسالته، وقال:

«مَا لِي وَلَا بِي سَلَمَةٌ هُوَ شَيْعَةٌ لِعَيْرِي»<sup>(٢)</sup>.

في التاريخ المعاصر أيضاً، تمثلت الانتهازية في الانتفاضة الدستورية وأعتبرت من الحوادث الأليمة في التاريخ. فتلك الحركة قد مهد لها رجال كبار، نظير الآخوند الخراساني، الحاج الشيخ عبد الله المازندراني والشيخ فضل الله النوري. فهم كانوا من علماء الدين، ومرّوا بمراحل

1. الملل والنحل للشهرستاني: ج ١ ص ٢٤١. الإمام الصادق عليه السلام والمذاهب الأربعة

ج ٣ و ٤ ص ٣١٤.

2. الإمام الصادق والمذاهب الأربعة: ج ٣ و ٤ ص ٣١٢.

صعبة، حيث كان لهم حضورهم الفاعل في الساحة، وعندما تراءت علامات النصر طلع أذنان الغرب عبر شعار الحرية، ونفي الاستبداد. ومن خلال توجيه التهم الطائفة إلى العلماء، عملوا على تحريف الحركة الدستورية عن مسارها وصولاً إلى 'أن أصبح الحاصل من الدستورية حكومة دكتاتورية مستبدّة، تداول الحكم عليها ولخمسین عاماً اثنان من الأسرة البهلوية. لقد كان الشيخ فضل الله النوري من المؤسسين للدستورية، وبجريمة مناوئته للدستورية تم اعدامه ظلماً، وحتى بعد شهادته، فإنهم تجاسروا على جسده الطاهر، بحيث إنّ القلم ليخجل من تكرار الحديث في ذلك<sup>(١)</sup>.

ولقد اقتادوا الشيخ الخراساني وباقي زعماء الانتفاضة إلى الشهادة وبطريقة خفيّة، واستغلوا الانتفاضة لمنفعتهم.

وفي انتفاضة تأميم صناعة النفط، فإنّ المرحوم آية الله الكاشاني اقتحم ميدان المواجهة، واستطاع من خلال استحصاله للفتاوى من الفقهاء العظام، مثل آية الله محمد تقي الخوانساري وآية الله السيد محمود الروحاني، أن يحصل على الدعم الشعبي لمثل هذه الانتفاضة. ولكن بعد الانتصار وتأميم النفط انتهز الوطنيون الفرصة وجلسوا على المائدة، وبدلاً من التوجّه بالشكر فإنّهم جحدوا الفضل ووجهوا أقبح الإهانات إلى المرحوم آية الله الكاشاني، وعملوا على انزوائه. كما أنّ الشهيد نواب الصفوي وأنصاره، كان لهم الحظّ الأكبر من

1. يراجع في ذلك الشيخ فضل الله والدستورية، رؤية بين فكرين: ص ٢٥١ و ٢٥٥.

السعي في هذه الانتفاضة، ولكن بعد أن امتلك مصدق زمام الأمر كان نصيبهم السجن.

وفي نطاق نفوذ الانتهازيين في الانتفاضات المختلفة، فللشهاد آية الله مرتضى المطهري نكات جامعة، وبعيدة الغور والتي يعتبر نقلها هنا في غاية الأهمية:

إن نفوذ الأشخاص الانتهازيين في انتفاضة ما واختراقهم لها، يُعدّ من الآفات الكبيرة لكل انتفاضة، فالواجب العظيم للقادة الأساسيين هو أن يسدوا الطريق أمام نفوذ أمثال هؤلاء الأشخاص، وأن يمنعواهم من اختراقهم. فكل انتفاضة طالما أنها تطوي المراحل الأولية العصبية، فإنّ ثقلها سيقع على أكتاف الأفراد المؤمنين والمخلصين من المضحين. إلّا أنّها وحالما تضع أوزارها، أو أنّها وعلى أقلّ تقدير تمخضت عن محتوياتها وبصورة ظاهرة، وتفتحت براعم شجرتها، تخرج رؤوس الانتهازيين وتلوح في الأفق. ويوماً بعد يوم تتضاءل العراقيل، وموعد جني الثمار يقترب، فيعمل الانتهازيون على التمسك براية الانتفاضة عبر الضرب على الصدور بكل حماسة وقوة، وصولاً إلى إخراج الثوريين المؤمنين والمضحين الأوائل تدريجياً من الساحة.

وتأخذ هذه القضية طابعاً كلياً بحيث يقولون: (الثورة تأكل أبناءها)! كما لو كانت خاصية الثورة أن يصل بها الأمر إلى هذه النتيجة، وذلك بأن تدمر أبناءها الواحد تلو الآخر. لكنّ الثورة ليست بأكلة لأبنائها، بل إنّ الغفلة عن نفوذ الانتهازيين واختراقهم ينجم عنه كارثة.

لا نذهب مكاناً قصياً، فمن هم الأشخاص الذين بلغوا بالثورة الدستورية في إيران مبلغها المثمر؟ وبعد مبلغها ذلك فما هي الوجوه التي احتلت المقاعد والمناصب؟ وكتيجة نهائية ما الذي حصل؟

لقد ألقى بالزعماء والقادة الوطنيين وسائر الأبطال المنادين بالحرية إلى زاوية معينة، حتى لفهم النسيان هناك، وكانت عاقبتهم أن أصبحوا جوعاً حتى ماتوا وهم مجهولو الهوية. أمّا أزالام السلطة، والذين كانوا وإلى أمس يقفون تحت راية الاستبداد يحاربون الثوريين، ويلقون الجبال في أعناق مؤيدي الدستورية، فهم قد بلغوا مبلغ الصدارة العليا، بينما تمخضت النتيجة النهائية عن فرض الاستبداد بصيغة دستورية.

لقد أثرت الانتهازية تأثيرها المشؤوم في عصر صدر الإسلام. ففي عهد عثمان استحلّ الانتهازيون موقع الشخصيات المؤمنة بالإسلام والأهداف الإسلامية. فالطلقاء أصبحوا وزراء، وكعب الأجبّار أصبح مستشاراً، وأمّا أمثال أبي ذرّ وعمّار فإنهم إمّا أرسلوا إلى المنفى، أو خمدت أنفاسهم تحت الركل والتعذيب.

لماذا يفرّق القرآن بين الإنفاق والجهاد قبل فتح مكة وبين الإنفاق والجهاد من بعده؟ وفي الحقيقة لماذا يفرّق القرآن بين المؤمن المنفق من قبل الفتح، وبين المؤمن المنفق من بعده؟:

﴿ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ



دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١﴾.

تفسير المطلب واضح، فقبل فتح مكة ومهما كان فإنه كان يمثل صعوبة وتحمل للمشقة، فكان مجمل الإيمان أكثر خلوصاً، والإنفاق والجهاد لا تعتريهما شائبة، وبعيداً عن روح الانتهازية. على العكس من الإنفاق والجهاد من بعد الفتح، فهو لم يكن على تلك الدرجة من الخلوص...

فالانتفاضة يفجرها المصلح، وليس الانتهازي، كما أن بمقدور المصلح المؤمن أن يواصل الثورة والانتفاضة حتى الى حين بلوغ النصر، لا أن يقوم الانتهازي الذي يحرص على تحقيق منافعه الشخصية. وعلى كل حال فالتصدي لنفوذ واختراق الانتهازيين - على الرغم من تظاهرهم المخادع - هو أحد الشروط الأساسية لاستمرار انتفاضة معينة في مسيرتها الأصلية<sup>(٢)</sup>.

لقد حذر معمار الثورة الإسلامية ومؤسسها الكبير السيد الإمام الخميني قدس سره، وعبر التفاته إلى 'هذا الخطر وما ينبغي أن يؤخذ بعين الاعتبار مما كان من التاريخ الماضي قائلاً:

«أعدوا على الدوام في مكنٍ لرصد المستغلين والانتهازيين، ولا تسمحوا أن تقع قيادة سفينة الثورة، وعرضاتها الصغيرة والكبيرة بيدهم».

1. الحديد: ١٠.

2. الانتفاضات الإسلامية في المئة سنة الأخيرة: ص ٩٦ إلى ص ٩٩.

و وصية الإمام إلى 'الأجيال اللاحقة هي:  
 «أن أكون بينكم أو لا أكون كذلك فأني أوصيكم أجمعين،  
 وأنصحكم أن لا تسمحوا لهذه الثورة أن تقع بيد غير أهلها وغير  
 الحريصين عليها»<sup>(١)</sup>.

كما تعرّض الإمام كذلك إلى 'ضرورة استلهاهم العبرة من قضية  
 الدستورية، وقال:

«إذا ما ضعف الروحانيون والشعب والخطباء والعلماء والكتاب  
 والمفكرون الذين يشعرون بالمسؤولية، ولا يستلهمون العبرة من قضايا  
 الدستورية المبدئية، فإنه سوف يلحق بشورتهم ما لحق بالثورة  
 الدستورية»<sup>(٢)</sup>.

#### احتقار المؤمنين الغيورين على الدين

من خصوصيات السلوك السياسي لأعداء الأنبياء والمؤمنين وعلى مرّ  
 التاريخ، هي احتقار الغيورين على الدين.  
 فأعداء النبي نوح عليه السلام كانوا يستصغرون أتباعه، ويحتقرونهم ويعدّونهم  
 ضيقي النظر: ﴿وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّئِ الرَّأْيِ﴾<sup>(٣)</sup>.

1. الكلمات القصار من المواعظ والحكم: ص ٩٧.

2. نفس المصدر: ص ١٧٦.

3. هود: الآية ٢٧.

فهم يتذرعون في عدم أتباعهم للنبي نوح عليه السلام بهذه العلة التي يعرضونها، وهي أن أنصاره ما هم إلا أراذل، ونحن سوف لا نضع أنفسنا في منزلتهم:

﴿ قَالُوا اتُّؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَالُونَ ﴾<sup>(١)</sup>.

ففي تاريخ الإسلام يلاحظ ما يشابه هذه القضية أيضاً، فأكابر قريش وحسب الاعتقادات الجاهلية كانوا يعدّون الجلوس إلى جانب المؤمنين المستضعفين مدعاة للعار بالنسبة لهم. فاقترحوا على الرسول الأكرم أن يقصي هؤلاء الأشخاص عنه، كي ننضمّ إليك ونستفيد من مجالستك، فبعد هذا الاقتراح نزلت الآية التالية تأمر الرسول ﷺ بالرفض القاطع لمقترح الكافرين:

﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تَطْعَمَنْ مِنْ أَعْمَالِنَا قَلْبُهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾<sup>(٢)</sup>.

لم يختصّ الاحتقار والاتهام بالسفاهة بأنصار الأنبياء فقط، بل إن الرسل الكرام ﷺ أيضاً كانوا قد اتُّهموا بالسفاهة ومن قبل الأعداء. فقوم عاد كانوا يعدّون هوداً سفيهاً وبصراحة مع التأكيد:

1. الشعراء: الآية ١١١.

2. الكهف: الآية ٢٨.

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾<sup>(١)</sup>.

والمنافقون كذلك والذين يمثلون قسماً من أعداء الأنبياء والمؤمنين كانوا يستخدمون هاتين الصيغتين، فكما كانوا يقومون باحتقار الرسول الأكرم ﷺ، كانوا أيضاً يستصغرون المؤمنين، فكانوا يعدّون الرسول الأكرم بأنه مغفل وسريع التصديق<sup>(٢)</sup>.

وكانوا يعتبرون المؤمنين أيضاً سفهاء:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وبالطبع فلأن المنافقين أنفسهم كانوا يتظاهرون بالإيمان والتدين كانوا قليلاً ما يجرؤون على الرسول الأكرم ﷺ بالنيل من نبوته، أو أن يجرؤوا على تكذيبه. بل إنهم كانوا يعيبون على أكثر سلوكيات الرسول وخصائصه الأخلاقية.

كما أنهم كانوا يقومون باحتقار المؤمنين عبر نقد أعمالهم ونشاطاتهم الدينية والسياسية أكثر مما كانوا يهتمون باحتقارهم والسخرية منهم، بسبب الإيمان.

وإنّ المنافقين كانوا يتعرضون بالسوء وبشكل معيّن إلى الأشخاص الذين كانت لهم خدمة أكبر في الجبهة، وإلى الأشخاص الذين كانت

1. الأعراف: الآية ٦٦.

2. يراجع: الآية التوبة: ٦١. حيث مضى الاستشهاد بالاية من قبل.

3. البقرة: الآية ١٣.

لهم خدمة أقل، بسبب تدني مقدرتهم وبشكل آخر، كانوا يتعرضون لهم بالسوء.

﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>.  
إن الهدف الأساسي للمنافقين هو استصغار المؤمنين، وتضعيف الغيرة الدينية، وإثارة الحساسيات لدى المؤمنين عند أداء التكاليف الدينية. وأصبح واضحاً أمام الكل، أنه طالما يوجد هناك شعور بالتدني وبصورة جادة بين المسلمين، وأنهم يعكسون حساسية تجاه هتك القيم الإسلامية، فإنه لا يكون بوسع المنافقين أن يبلغوا هدفهم النهائي وهو نسف السلطة الدينية. فالمنافقون ومن خلال احتقار المؤمنين ومظاهرهم الدينية، يسعون إلى خفض مستوى الحساسيات، وتحديد الدين والقيم الإسلامية بمستوى السلوكيات الفردية والشخصية، كي يتمكنوا وعبر هذا الطريق من القيام بمسخ الدين، والاستيلاء على الحكومة الإسلامية. وعلى هذا الأساس كان للمنافقين ارتباط وثيق بأعداء الدين، ولديهم علاقات ودية معهم. أما مع أبناء جلدتهم والمؤمنين فإنهم يتعاملون تعاملًا قاسياً ومستبداً، وبالضبط على عكس الصفة التي يصف الله بها المؤمنين.

يعرف الله تعالى المؤمنين بأنهم ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ

1. توبه: ٧٨.

يَبْنَهُمْ ﴿١﴾، أمّا المنافقون فإنّهم بالنسبة إلى المؤمنين (أشداء)، وبالنسبة إلى أعداء الدين فهم (رُحماء).

### التشكّل والترابط

من خصوصيات السلوك السياسي للمنافقين التلاحم والترابط فيما بينهم؛ وذلك من أجل توجيه الضربة إلى الإسلام وسلطة النظام الإسلامي، فإنّهم ولكي يستمکنوا الإسلام، ويعملوا على إضعاف السلطة الدينية، فإنّهم يتخلّون عن اختلافاتهم ويتحدون ضد الإسلام:

﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

ومن أهداف هذا التلاحم هو تشكيل قاعدة للتآمر، يعقدون فيها الاجتماعات السرية لأجل تفعيل العمل ضد الإسلام.

تتخذ قواعد التآمر وفي كل زمان شكلها المناسب، ولقد تمثّلت إحدى نماذجها في بناء مسجد ضرار الذي سبقت الإشارة إليه في القرآن الكريم فكان هدفهم الاستفادة من هذا المسجد تحت عنوان (الطابور الخامس) من أجل زرع الفرقة بين المؤمنين، والتجسس لصالح الأعداء، وتوجيه ضربة إلى المسلمين، وترويج الكفر.

ويستفاد من هذا المنوال، من حيث إنّ المنافقين يعملون - ووفقاً لبرامجهم المعدة مسبقاً - على الإفادة من كل آلية لتوظيفها ضد الدين،

1. الفتح: الآية ٢٩.

2. التوبة: الآية ٦٧.

وعلى استغلاله أيضاً عندما يرون الظرف مناسباً، كي يستثمروا ذلك في مواجهة الدين الحقيقي. كما أرادوا من بناء المسجد إعادة نشاطهم فيه حتى ينهضوا لمحاربة الرسول ﷺ.

كان أحد أعمالهم الموحدة عقد الاجتماعات المختلفة لأجل النيل من الإسلام.

يصرح القرآن بأن المنافقين كانوا في النهار يستمعون إلى كلام الرسول ﷺ ويظهرون له الطاعة، ولكنهم في الليالي كانوا يعقدون اجتماعاتهم التآمرية، حيث كانوا يناقشون الطرق الكفيلة لمواجهة إرشادات الرسول ﷺ:

﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

عقد ذات مرة اجتماع في بيت سويلم، بمناسبة معركة تبوك لأجل مناقشة الطرق الكفيلة بمنع الناس من الاشتراك في المعركة. وهو واحد من آلاف الاجتماعات التآمرية التي عقدها المنافقون<sup>(٢)</sup>.

فهذا نموذج واحد من مخططات المنافقين السياسية التي كانوا يقومون بها من خلال ارتباطهم وعقد الاجتماعات والتخطيط الدقيق لأجل التصدي للإسلام. ومن أجل التصدي لهم ومواجهتهم يجب التلاحم بين المؤمنين أيضاً والترابط والتخطيط لذلك. التلاحم هو الذي

1. النساء: الآية ٨١

2. تقدم آنفاً سرد مجريات عقد هذا الاجتماع وإفشائه.

يكون الهدف منه القيام بالواجب والتصدي للمؤامرات. فالتشكيلات يجب أن تكون ممهدة للوحدة وائتلاف المجتمع الإسلامي من أجل إحباط مؤامرات الأعداء. وليس أن تتبدل التشكيلات، فتعبر عن صنمينة جديدة وحديثة، وتكون عاملاً للترفة والاختلاف<sup>(١)</sup>.

إن اختلاف السلائق وتلاقح الآراء في نطاق القيم الإسلامية يُعدّ أساس النمو. أما إذا حلت الدكتاتورية والإهانة والهتك والاتهام محلّ الأخوة في الله وسعة الصدر وتحمل الواحد للآخر، فإنّ العدو هو الشخص الوحيد الذي سيستفيد، والنتيجة المباشرة لذلك هو التشتت ووقوع الفرقة في المجتمع، وإضعاف الحكم الإسلامي والتي هي من الطموحات الأساسية للأعداء.

بعد تناول أحد أذنان معاوية على مدينة الأنبار، قال الإمام عليّ عليه السلام بعد أن رأى ضعف الناس في دفع تجاوز المنافقين: «فِيَا عَجَبًا! عَجَبًا وَاللَّهِ يُمِيتُ الْقَلْبَ وَيَجْلِبُ الْهَمَّ مِنْ اجْتِمَاعِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ عَلَى بَاطِلِهِمْ وَتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ»<sup>(٢)</sup>.

يعد التذكير بهذه النقطة ضرورياً، والتي تعبر عن أنّ وحدة المنافقين وترابطهم كان مؤقتاً، من أجل الإطاحة بالنظام الإسلامي. إلا أنه وعندما يصلون إلى أهدافهم، وحتى أنه حالما تُشاهد أقل علامة للنصر، فإنهم

1. إشارة إلى قوله تعالى في سورة الروم: ٣١ - ٣٢: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الَّذِينَ فَرَقُوا دينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلَّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾.  
2. نهج البلاغة: الخطبة ٢٧.



يتجهون الى التفرق والانفصال. لأنّ محور وحدتهم باطل، ومثل هكذا وحدة لم يكن لها أن تقاوم في أي وقت. ولهذا السبب فإنّ الباطل يرافقه وعلى الدوام الضعف وعدم الثبات، وما يبقى هو الحق فقط.

### إثارة الفتنة

من خصوصيات سلوك المنافقين السياسي والتي يذكرها القرآن بصراحة هي إثارة الفتنة. فهم يصدّد إيجاد الفتنة في المجتمع الإسلامي، فيهدفون وعبر هذا الطريق في أن يصلوا إلى أهدافهم المشؤومة. لقد ذكرت عدة معانٍ للفتنة «الفتنة»، هذا مع التوجه إلى القرائن التي جاءت في الآيات الكريمة في وصف المنافقين، فإنّ هناك احتمالين لمعنيين من المعاني التي ورد ذكرها في القرآن الكريم يوضّحان مفهوم إثارة الفتنة من قبل المنافقين<sup>(١)</sup>.

1. في أصل اللغة تعني «الفتنة» الموضوع الذي يتم فيه تصفية الذهب، حين يوضع في داخل النار. وعلى الظاهر من آيات القرآن فإنّ «الفتنة» استخدمت في سبعة معانٍ، و التي يكون قاسمها المشترك هو وجود المشكلة والصعوبة، وهي عبارة عن:
  - ١- الامتحان والاختبار: ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (العنكبوت/٢).
  - ٢- الخدعة والأغواء: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾ (الاعراف/٢٧).
  - ٣- الشرك وعبادة الاصنام: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً﴾ (البقرة/١٩٣؛ الانفال/٣٩).
  - ٤- البلاء والعذاب: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾

الاحتمال الأول: هو أن يكون المقصود من إثارة الفتنة هم المنافقون، الذين يسعون إلى إيجاد الاختلاف في المجتمع وبين المسلمين.

والإحتمال الثاني: هو أن يكون المقصود من إثارة الفتنة هو ترويح الشرك وعدم الإيمان. فيلاحظ استعمال الفتنة بمعنى الشرك في الآية التالية:

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾<sup>(١)</sup>.

في هذه الآية التي تكررت مرتين في القرآن، والتي عبرت عن الفتنة بمعنى الشرك، توجهت بالأمر إلى المؤمنين بأن يواصلوا قتالهم حتى يتم اقتلاع أساس الشرك وعبادة الأصنام.

اتفقت أقوال أكثر المفسرين على الاحتمال الأول في معنى إثارة المنافقين للفتنة، ورأوا أن الفتنة هي بمعنى تفريق الكلمة، وإيجاد التشتت بين المسلمين. ولو أنه يبدو للنظر إمكانية الجمع بين كلا الاحتمالين. وبهذا الإيضاح يتبين أن المنافقين وعبر إيجاد الاختلاف، وتفطيت وحدة المسلمين يقصدون إضعاف النظام الإسلامي والإطاحة به

(الأنفال/٢٥٩).

٥- الاضلال: ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا﴾ (المائدة/٤١).

٦- الاحتراق في النار: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ (الذاريات/١٣).

٧- الاختلاف: وهو ما أشير إلى الآيات التي تتحدث عنه في المتن أعلاه.

١. الأنفال: الآية ٣٩ وايضا تلاحظ: البقرة: الآية ١٩٣.

ورواج الشرك وحكومة الطاغوت ؛ لأنه ليس بعد حاكمية الإسلام  
والحق من شيء يبقى، سوى الطاغوت والباطل:  
﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾<sup>(١)</sup>.

وعلى أية حال فإن تكتيك (فَرَّقْ تَسُدْ) هو أسلوب سلوكي لكل  
أعداء الأنبياء والمؤمنين، وهو ديدن المستعمرين على طول التاريخ،  
ففرعون كان من الأشخاص الذين يستخدمون هذا الأسلوب:  
﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾<sup>(٢)</sup>.

وكذلك المنافقون كانوا يتبعون هذا الأسلوب، حيث كانوا وعلى الدوام  
يعملون على إيجاد الاختلاف، كي يدعوا الكفر يحكم من جديد:  
﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْعُونَكُمُ  
الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

يستفاد من الآية أعلاه أن حضور المنافقين في جبهة الجهاد يمثل  
عاملاً لإضعاف المعنويات وثارة الفرقة والتردد. فإنهم وبحضورهم  
السريع وإثارتهم الشديدة للفتنة، يكون بوسعهم أن يؤثروا على بعض  
المسلمين وبسرعة، ممن لا يمتلكون وعياً عميقاً، ولا يدركون خطرهم،

1. يونس: الآية ٣٢.

2. القصص: ٤.

3. التوبة: ٤٧. المقصود من «سماع» هاهنا: هو المغفل الذي يقع تحت التأثير. ولو أن  
بعضاً تناولها بمعنى الجاسوس. ولكن مع الالتفات إلى أن جيش الرسول ﷺ كان  
يحفل بوجود المنافقين فيه، فلا معنى للجاسوس بالنسبة لهم.

وبهذا العمل فإنهم يوقعون الخلاف بين أفراد الجيش الواحد.  
ففي قضية مسجد ضرار أيضاً كان هدفهم إثارة الفتنة، فكما يزرعون  
الفرقة بين المؤمنين فإنهم يروّجون للكفر<sup>(١)</sup>.

يضيف الله تعالى في بقية الآية ٤٨ من سورة التوبة التي قدمت صورة  
عن إثارة المنافقين للفتنة في معركة تبوك، هذه النقطة أيضاً، إثارة  
المنافقين للفتنة وسلوكهم الدائم، حيث يعدون من أصحاب السوابق في  
هذا المضمار. فكانوا يتقصّدون أعمال التفرقة في معركة الأحزاب  
أيضاً، والتي لم يتوقفوا فيها:

﴿لَقَدْ ابْتِغَوْا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ  
أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

توجد شواهد تاريخية كثيرة في مجال سعي المنافقين لإيجاد  
الاختلاف وتبديد وحدة الكلمة بين المؤمنين، حيث نشير هنا إلى  
موردين فقط:

أحدهما: في معركة أُحُد إذ انفصل عبدالله بن أبي - الذي كان من  
كبار حزب النفاق - عن جيش الرسول ﷺ، وتغنى بالعودة إلى  
المدينة. ولقد نصحه أفراد مثل عبدالله جابر الأنصاري، الذي كان من  
كبار قبيلة الخزرج. ولكن لم يكن نصحه بذى فائدة. لقد كانت ذريعة  
عبدالله بن أبي في الانسحاب من جيش الرسول هي أنّ الرسول ﷺ قبل

1. التوبة: ١٠٧: ﴿والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين﴾.

2. التوبة: الآية ٤٨.

برأي الشباب والأشخاص الذين لا رأي لهم في الحرب، وتحرك باتجاه أحد.

أراد عبدالله بن أبي بقوله هذا أن يحرك إحاسيس زعماء القبائل، ليمنعهم من المشاركة في خوض القتال في أحد، فلم يتوقف<sup>(١)</sup>.  
والمورد الثاني هو: أنه قد وقع شجار بين أحد الأشخاص من المهاجرين اسمه (جهجاه)، وبين شخص آخر من الأنصار اسمه (سنان)، وذلك في أثناء استقاء الماء من البئر. فلطم المهاجر الرجل الأنصاري، وفي هذا الحال استغاث كل منهما - وطبقاً للعرف الجاهلي - بأقربائه وأفراد قبيلته لمساعدته، ومباشرة حضرت مجموعة من الأنصار ومجموعة من المهاجرين في محل النزاع بسيوف مسلولة، وكادت أن تقع معركة دامية، فدخل الرسول الأكرم ﷺ بنفسه ميدان الصراع، لأجل إخماد نار الفتنة، فقال ﷺ: هذا النزاع والقتال ومثل هذه الاستغاثة منفرة.  
أراد حزب النفاق أن يستثمر هذه القضية، ويعمل على زرع التفرقة عبر إشعال العصبية القبلية. ولكنه تم إحباط مؤامرتهم بواسطة تدبير الرسول ﷺ<sup>(٢)</sup>.

يجب استلهاهم العبرة من هذه الحوادث والوقائع المشابهة، والتعلم منها هذه النقطة وهي أن الأعداء في تقص متواصل لخلق جو مليء بالحقد، والعداوة والخلاف الجاهلي. هذا ليس سلوك أسلوب المنافقين

1. يراجع التفسير المنير: ج ١٠ ص ٢٣٨.

2. سيرة ابن هشام: ج ٢ ص ٢٩٠، المنشور الخالد للقرآن: ج ٤: ص ٨١ ٨٢

بالأمس، بل هو سلوكهم اليوم، وغداً وما يليه.  
يقول الإمام عليّ عليه السلام بصدد ما يتعلّق بأساليب التفرقة، والأخطار  
الناجمة عن إثارة المنافقين للفتن:  
«وَأَيْمُ اللَّهِ، مَا اخْتَلَفَتْ أُمَّةٌ قَطُّ بَعْدَ نَبِيِّهَا إِلَّا ظَهَرَ أَهْلُ بَاطِلِهَا عَلَى  
أَهْلِ حَقِّهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ»<sup>(١)</sup>.

فنتيجة تفرق أهل الحقّ هي استعادة أهل الباطل لأنفاسهم وسيطرتهم  
وتسلّطهم، ولهذا السبب فإن حزب النفاق يسعى وبشدة من أجل إيجاد  
الفرقة بين أهل الحقّ وبذررائع مختلفة، حيث يستفيد من تشتتهم.  
في عهد خلافة أمير المؤمنين عليه السلام استطاع معاوية ومن حوله من المنافقين  
أن يثيروا التفرقة بين أصحاب وقادة جيش الإمام، عبر نشر الفتنة وتأجيج  
الاختلافات بينهم. وطالما غدت الأمة متفرقة، وأصبحت مجموعات عدّة،  
فإن قائدها حتى ولو كان من أفاضل الناس، فإنّ حزب النفاق يستطيع أن  
يتغلب عليها، ويعمل في كل يوم على حصر حكومة الإمام في دائرة أضيق.  
فبعد اطلاع الإمام عليّ عليه السلام على ظهور (بسر بن أرطاة) على اليمن وبجرائمه،  
فقال مخاطباً أهل الكوفة: إنّي والله كنت لأعلم وعبر اتخاذاكم هذا السبيل، ومن  
خلال الاختلاف الذي ساد بينكم، بأنه سوف يأتي يوم كهذا اليوم:  
«إِنِّي وَاللَّهِ لَأُظَنُّ أَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ سَيُذْأَلُونَ مِنْكُمْ بِاجْتِمَاعِهِمْ عَلَيَّ  
بِاطِلِهِمْ وَتَفَرُّقِكُمْ عَنِّي حَقِّكُمْ»<sup>(٢)</sup>.

1. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ج ٥ ص ١٨١.

2. نهج البلاغة: الخطبة ٢٥.

## إيجاد الحرب النفسية

من جملة خصوصيات السلوك السياسي للمنافقين التي ذكرها القرآن هي إيجاد الحرب النفسية، فإيجاد التزلزل والاضطراب، وإشاعة جوٍّ غير آمن، وبتّ ونشر الإشاعات الكاذبة، وغمر المجتمع بالتُّهم المختلفة، تمثّل جميعاً مجموعة من العناصر التي تشكّل حرباً نفسية. فهم يعملون دائماً ومن خلال الحرب النفسية على جرّ المجتمع إلى 'حالة من الفوضى، فيضعفون معنويتهم العامة، ويحكّمون فيه اليأس والرعب، كي لا يقوى المؤمنون على اتخاذ القرار الصحيح، ولا يتحركون بالقدرة والوقت المناسبين.

والهدف الآخر لأولئك المنافقين، هو إشاعة الشك في المجتمع، فيما يتعلق بالمعلومات والأخبار الراهنة في البلاد، والعمل على سلب الثقة العامة الممنوحة لكبار قادة النظام الإسلامي والشخصيات البارزة، وذوي التأثير، لتسفر النتيجة عن اختلاف في المجتمع وإضعاف للحكومة.

وفي سبيل إيجاد الحرب النفسية فإنّ المنافقين يستخدمون طرقاً مختلفة للقيام بذلك.

فواحدة من أساليبهم تلك هي تعظيم العدو وتحقير قدرات المسلمين. فهم يسعون إلى إلقاء الرعب والخوف في نفوس المؤمنين، ومنعهم من مواجهة العدو، عبر تهويل قدرات العدو القتالية كماً وكيفاً، والتقليل من شأن جيش المسلمين:

﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا﴾<sup>(١)</sup>.

1. الأحزاب: الآية ١٣.

عدّ المنافقون نصر الأعداء عظيماً، بينما يحقرون مكاسب المؤمنين، والتعبير عن انكسارات المشركين بأنها دون طائل، ويصورون الضربات التي توجهت إلى جيش المسلمين على أنها ضربة في الصميم. وبالطبع ففي بعض الأوقات أيضاً تنشر أخبار النصر في غير أوانها، مما يؤدي إلى ابتلاء المؤمنين بالغرور، أو بالإعلان غير الصحيح عن أخبار الهزيمة والأخطار الكامنة، فيصيب المؤمنين الرعب والخوف والفرع<sup>(١)</sup>.

﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾<sup>(٢)</sup>.

يستفاد من الآية أعلاه أنه لا يجب نشر الأخبار بمجرد وصولها، حتى ولو كان ثمة اطمئنان بصحتها، بل إنه ومن بعد استشارة المسؤولين ومناقشة نتائج نشر الخبر، سيكون بالوسع الإقدام على إذاعته، فليس من الضروري أن يقوم الإنسان بالإعلان عن كل ما يعلم.

يقول الإمام عليّ عليه السلام:

«لَا تَقُلْ كُلَّ مَا تَعْلَمُ فَإِنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيَّ جَوَارِحَكَ كُلَّهَا فَرَانِضَ

1. من الممكن الإفادة من الآية ٦٠ من سورة الأحزاب أيضاً، فلقد جاء في معنى الفعل أرجف: أكثروا من بث الأخبار السيئة واختلاق الأقوال الكاذبة حتى يضطرب الناس منها. (المصباح المنير: ج ١ ص ٢٢٠). إلّا إذا قلنا أنّ الإرجاف هو ما ينصرف إلى الإشاعات الكاذبة.

2. النساء: الآية ٨٣



تَحْتَجُّ بِهَا عَلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(١)</sup>.

يشير الحديث إلى أنّ إعلان بعض الكلام قد يقود إلى إفشاء أسرار المؤمنين أو النظام الإسلامي، أو أن يؤدي إلى مفسدة. كما أنه من الواضح أنّ المحدث بمثل هذا الكلام الذي يحمل في وراءه النتائج السيئة، يجب أن يستحضر له جواباً بين يدي العدل الإلهي. ولذا فإنه من اللازم وقبل النطق بالكلام أن يكون ثمة تفكير بنتائجه، وأنه لا يجب التفوه بأي كلام حتى لو كان ملؤه الصدق.

ثاني أساليب المنافقين في إيجاد الحرب النفسية تلفيق وبثّ الإشاعات، وإطلاقها في قلب المجتمع.

إنّ ما يُعدّ مهماً لدى مروّجي الإشاعات هو التأثير على المجتمع ولو بصورة مرحلية. كان بثّ الإشاعة يعتبر الصيغة العادية للمنافقين ولما تزل كذلك.

ففي زمان الرسول الأكرم ﷺ، كانوا ينشطون في وقت الأزمات، وعبر بثّ إشاعات مفرعة، كانوا يثيرون الاضطراب في المجتمع الإسلامي. وأوج هذا النشاط الشيطنة في المعركة، فإنّ المحور الرئيسي لإشاعاتهم يتمثل في التقارير الكاذبة فيما يتعلق بأعداد العدو، وإشاعة قتل أو أسر الرسول ﷺ.

ففي معركة الأحزاب، لم يكن المسلمون يحملون تلك الروح المعنوية المطلوبة، وذلك بسبب اتحاد كل المجموعات المناوئة للإسلام من أجل الإطاحة بحكومة الرسول ﷺ، والهجوم على

1. نهج البلاغة: الحكمة ٣٨٢.

المدينة، وفي خضم هذه الأحداث كان المنافقون يقومون بيثّ الإشاعات كي يُضعفوا معنوية المسلمين أكثر. فالله تعالى وفي إطار كشفه لأسلوبهم هذا فإنه يهددهم في الآية التالية، إذا لم يكفوا عن هذا الأسلوب السيء، فإنني سأفعل بحقكم فعلة لا يمكن بوسعكم بعدها البقاء في المدينة:

﴿لَئِن لَّمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾<sup>(١)</sup>.

إن أفضل الطرق لمكافحة ترويح الإشاعات، هي: أولاً: بعد استماع الأشخاص إلى الإشاعة والخبر غير المؤكد عليهم أن يمتنعوا عن نشرها ويسعوا لإيقافها.

إن بث الإشاعات وتكرارها يمثل بحد ذاته أفضل طريق لمساعدة العدو للوصول إلى أهدافه المشؤومة. ومما يؤسف له أن هناك من

1. الأحزاب: الآية ٦٠. تم التذكير في هذه الآية بثلاثة عناوين، هي: المنافقون، ومرضى القلوب، والمرجفون. فهل هذه العناوين تخبر عن وجود ثلاثة مجموعات متآمرة في المدينة، أم أن هذه المجاميع الثلاث تعبر عن وصف مجموعة واحدة؟ قال البعض: كان المتآمرون يتكونون من ثلاث مجموعات: المنافقون، ومرضى القلوب الذين هم من الأراذل والأوباش، من الذين لم يذهبوا الى سوح القتال، وقاموا بخلق أسباب الأذى للمسلمين. والمرجفون هم الذين يعملون على بثّ الإشاعة. ولكن يوجد هناك احتمال آخر، وهو أن كل هذه العناوين الثلاثة تتعلق بالمنافقين. وبهذا الإيضاح، يُعبر العنوان الثاني والثالث عن بيان خصوصيتهم، وفي المصطلح (ذكر الخاص بعد العام).

ينشغل بمثل ذلك في بعض المجالات في المجتمع الإسلامي.  
يقول الإمام الصادق عليه السلام في النهي عن نقل كل شيء يتناهى إلى  
سمع الإنسان:

«كَفَى بِالْمَرْءِ كِذْبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا يَسْمَعُ»<sup>(١)</sup>.

ثانياً: ومن أجل كشف الحقائق وتفكيك الحق عن الباطل، وطرد  
الإشاعات فعليهم مراجعة المصادر الموثقة ورفع الإبهام، كي لا يبلغ  
الأعداء مقصودهم في إضعاف معنوية وإيمان المسلمين، وانتزاع ثقة  
المسلمين بعضهم من البعض الآخر ومن زعمائهم.

الآنهام: هو ثالث وسيلة يستخدمها المنافقون من أجل إيجاد الحرب  
النفسية. فمن خصوصيات الأسلوب السياسي للمنافقين من أجل خلق  
الحرب النفسية، هي تعريض كرامة وشرف وأرواح أبناء المجتمع  
الإسلامي إلى الخطر.

في ثقافة الإسلام تعدّ أرواح الناس وأموالهم وشرفهم وكرامتهم  
محترمة، وليس لأحدٍ الحقّ في أن يتعرض لأي واحدة منها. ولهذا السبب  
سُنَّ قانون القصاص، كحدّ السرقة وحدّ اللقذف كي يتمّ استتباب مناحي  
الأمن المختلفة في المجتمع.

فمن ضمن هذه الأنواع الثلاثة من الأمن، يحتل أمن وحرمة العرض  
مكانة خاصة.

1. بحار الأنوار: ج ٢ ص ١٥٩.

يقول الرسول الأكرم ﷺ:

«إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ مِنَ الْمُسْلِمِ دَمَهُ وَعَرَضَهُ وَأَنْ يَظَنَّ بِهِ ظَنَّ السُّوءِ»<sup>(١)</sup>.  
 فلشدّما حازت هذه المسألة على درجة من الأهمية من وجهة نظر الإسلام، بشكلٍ أنّه إذا ما اتهم شخص شخصاً آخر بالزنا أو اللواط ولم يستطع أن يثبت ذلك، فإنّه يُعاقب بثمانين جلدة. وإذا ما اتهم شخص آخر تهمة غير أخلاقية فإنّ بوسع الحاكم تعزير المتهم. من أنواع الأساليب الدائمة التي كان يستخدمها أعداء الأنبياء تجاه المؤمنين هي التهمة والافتراء، خاصة التهم اللاأخلاقية. كما أنّ مثل هذه القضية قد وقعت لرسول الله موسى ﷺ ولبعض أنبياء الله الآخرين. ينقلون أنّ قارون، ولكي لا يصادق على قانون الزكاة ودفع أعطيات البائسين في المجتمع دبر مؤامرة، فامروا إلى امرأة مومسة بأن تنهض في معشر جمع وتتوجه إلى موسى ﷺ بتهمة إقامة علاقات غير مشروعة معها. وبلطف الله فما كان لهذه المؤامرة أن لا تؤثر تأثيرها وحسب، بل إنّ تلك المرأة نفسها أقرت بطهارة موسى ﷺ وأعلنت عن مؤامرة قارون. لذا يوصي الله تعالى المسلمين عبر الإشارة إلى هذه الحادثة، بأنّه لا ينبغي لكم أن تتصرفوا مثلما تصرف قارون:  
 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾<sup>(٢)</sup>.

1. تفسير القرطبي: ج ١٦ ص ٣٣٢.

2. الأحزاب: الآية ٦٩.

نسبوا إلى نبي الله يوسف عليه السلام بأنه همّ بالزنا! واتّهموا نبي الله داود أنه ومن أجل الحصول على زوجة أحد جنده، أرسله إلى الجبهة كي يُقتل، فيتمكن من نكاح زوجته. واتّهموا مريم العذراء عليها السلام بالتلطّخ بالعار، وبإقامة علاقات غير مشروعة مع الآخرين ..

يُستفاد من بعض آيات القرآن الكريم أنّ المنافقين في المجتمع الإسلامي، يستخدمون نفس هذا الأسلوب تجاه أولياء الله والمؤمنين وتعدّ قصة الإفك نموذجاً له.

ولقد نُقل الكلام في سبب نزول آية الإفك وأصل قصتها بطريقتين مختلفتين<sup>(١)</sup>.

يعكس الله تعالى في الآيات ١١ الى ١٧ من سورة النور - وذلك ضمن توبيخه لأسلوب المنافقين، واستهجانه لردّ فعل المسلمين أيضاً - الطريقة الصحيحة في التعامل مع مثل هذه الاتهامات، ونقل هنا الآيات:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ \* لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ \* لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِنْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ \* وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ \* إِذْ

1. من أجل الاطلاع على كلا السببين في النزول، ونقاط الضعف والقوة في كلّ منهما، يراجع الكتاب القيم: (حديث الإفك) تأليف السيد جعفر مرتضى العاملي

تُلْقُونَهُ بِالْأَسْتِكَكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا  
وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ \* وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ  
بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ \* يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ  
كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ \* (١)

كان جهاز إعلام معاوية يستفيد في موارد كثيرة من حربة الاتهام  
ضد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فكان أكبر اتهام نسبه معاوية إلى الإمام  
هو مشاركته في قتل عثمان! هذا في الوقت الذي كان فيه الإمام هو  
الأكثر براءة من الكل من دم عثمان.

لقد وجّه معاوية في الشام ضد الإمام اتهاماً آخر، وهو عدم الصلاة!!  
يقول هاشم بن عتبة: رأيت في جيش معاوية شاباً كان يقاتل وبكل  
نشاط! سألته: ما هو سرّ هذا النشاط؟ قال: أريد أن أقتل الشخص الذي لا  
يصلّي والقاتل لعثمان! (٢)

وبعد أن وصل خبر وقوع الضربة وشهادة الإمام علي عليه السلام في مسجد  
الكوفة، قال عدد من الشاميين وبتعجب: أَوَكان عليّ يصلّي؟!  
ومن أسوء اتهامات معاوية التي وجّهها إلى الإمام علي عليه السلام هو اتهامه  
بالتخطيط لقتل الرسول صلى الله عليه وآله. (٣)

وعلى كل حال، فإنّ إحدى صيغ المنافقين من أجل إيجاد الأزمة

1. النور: الآيات ١١-١٧.

2. تاريخ الطبري: ج ٦ ص ٢٥٥٦.

3. يراجع الغارات: ج ٢ ص ٥٨١.

في المجتمع هي حربة الاتهام! حيث أُشير إجمالاً في هذا المجال إلى بعض أهدافهم.

والهدف الآخر الذي بإمكانه أن يمثل محط اهتمام المنافقين في اغتيال الشخصية، وتوجيه الاتهام إلى الأفراد هو إحاطة أنفسهم بحماية أمنية وتبرئتها، لأنهم يخافون أن ينكشف ما في باطن أنفسهم، فيسعون وعبر توجيه الاتهامات إلى الآخرين إلى إثارة التسلط الهمجي، ووضع المؤمنين في موضع الانفعال<sup>(١)</sup>.

1. يمكن الإفادة من الآية ١٥ من سورة الفتح في تأييد هذه النقطة.





## الفصل الثالث

### خصوصيات المنافقين النفسية

#### الغرور

من جملة النقاط التي بينها القرآن فيما يتعلق بالمنافقين وخصوصياتهم النفسية هي تكبرهم وغرورهم. فالكبر - الذي يعني أن يروا أنفسهم عظاماً، والآخرون حقراء - هو من أعظم الأمراض النفسية ومنشأ الانحرافات الخلقية الكثيرة.

قال الإمام عليّ عليه السلام:

«إِيَّاكَ وَالْكِبْرَ فَإِنَّهُ أَعْظَمُ الذُّنُوبِ وَالْأَمُّ الْعَيْبُ»<sup>(١)</sup>.

فالكبر يصير من أعظم الذنوب ومنشأ الكفر، حيث كان كفر إبليس منبثق من كبره، فعندما صدر له الأمر بالسجود لآدم، فإنه رأى نفسه أفضل منه فما سجد له، وبهذا العمل اتخذ الكفر له سبيلاً: ﴿أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

كان يقف المخالفون بوجه الأنبياء بروح استكبارية، ولقد كانوا يكفرونهم ويحقرونهم ويعذبونهم ويؤذونهم وعندما كانوا يُدْعَوْنَ إِلَىٰ

---

1. تصنيف غرر الحكم: ص ٣٠٩.

2. البقرة: الآية ٣٤.

الإيمان، كان شعارهم الدالّ على روحيتهم الاستكبارية هو: ﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾<sup>(١)</sup>.

والكبر أيضاً يُعدّ من أخبث العيوب، لأنّه يمثّل الحقارة النفسية للفرد المتكبر، فهو مغرور، ويشعر في داخل نفسه بنقص، فيرغب في تلافيه ذلك النقص عبر الكبر.

يقول الإمام الصادق عليه السلام:

«مَا مِنْ رَجُلٍ تَكَبَّرَ أَوْ تَجَبَّرَ إِلَّا لِدَلَّةٍ وَجَدَهَا فِي نَفْسِهِ»<sup>(٢)</sup>.

فعمله قائم بفعل الذلة والحقارة الحاصلة في نفسه. وطبقاً للروايات فإنّ الكبر ينقسم إلى قسمين: تحقير الناس، وعدم الإذعان للحقّ.

يقول الإمام الصادق عليه السلام:

«الْكِبْرُ أَنْ تَغْمَصَ النَّاسَ وَتُسْفَهُ الْحَقَّ»<sup>(٣)</sup>.

ومن وجهة نظر الأخلاق الإسلامية، فإنّ كلا القسمين مذمومان وبشدة. إنّ تحقير الآخرين - حتى الأشخاص الذين قد ارتكبوا بحكم الظاهر جرماً - يعدّ من المحرّمات.

يقول الإمام علي عليه السلام:

«إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى... أَخْفَى وَلِيَّهُ فِي عِبَادِهِ فَلَا تَسْتَصْغِرُونَ عَبْدًا مِنْ عِبِيدِ اللَّهِ فَرَبِّمَا يَكُونُ وَلِيَّهُ وَأَنْتَ لَا تَعْلَمُ»<sup>(٤)</sup>.

1. يس: الآية ١٥.

2. أصول الكافي: ج ٨، ص ٣٠٥. بحار الأنوار: ج ٧٣، ص ٢١٧.

3. ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٣٠٥. بحار الأنوار: ج ٧٣، ص ٢١٧.

4. بحار الأنوار: ج ٩٠، ص ٢٦٣.

وفي رواياتٍ أُخرى، نُقِلَ عن الإمام الصادق عليه السلام أن الله تعالى قال: «لِيَأْذَنَ بِحَرْبٍ مِنِّي مَنْ أَذَلَ عَبْدِي الْمُؤْمِنَ»<sup>(١)</sup>.

كتب الامام الخميني عليه السلام في باب الأمر بالمعروف من كتاب تحرير الوسيلة: لا يجب أن يرى الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر نفسه بلا عيب، وأنه أعلى قدرًا من المرتكب للإثم، لأنه من الممكن أن يحمل الشخص المرتكب للإثم (حتى المرتكب للكبيرة) صفات طيبة فيحبه الله، بينما يؤدي غرور الأمر بالمعروف إلى سقوطه. كما أن من الممكن أن يحمل الأمر والناهي صفات قبيحة، فيغضه الله حتى ولو كان الشخص نفسه لا يحيط بصفته القبيحة هذه علمًا.

وبالطبع فهذا الكلام لا يعني ترك الأمر بالمعروف، أو تعطيل إجراء الحدود الإلهية، بل يجب وفي ضمن تكريم واحترام الإنسان، والمحافظة على المنزلة الإيمانية الإقدام على الأمر بالمعروف، أو على إجراء الحدود الإلهية.

يقول الرسول الأكرم عليه السلام: « إِذَا زَنَّتْ خَادِمٌ أَحَدِكُمْ فَلْيُجْلِدْهَا الْحَدَّ وَلَا يُعِيرْهَا »<sup>(٢)</sup>.

وعلى هذا الأساس، فغالبًا ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام يقتلون مرتكبي الزنا من المحصنين، لكن بعد إجراء الحد كانوا يُقدمون وبصورة محترمة على إقامة صلاة الميت على نعوشهم، ويدافعون عن

1. بحار الأنوار: ج ٧٥: ص ١٤٥.

2. مجموعة الموزون الخفيف: ج ١ ص ٥٧.

كرامتهم وشخصيتهم<sup>(١)</sup>.

ولقد حُكِمَ في روايات كثيرة على عدم الانصياع للحقّ، في إطار ذم الممارسة والجدال بغير التي أحسن.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «أما الجِدالُ الَّذِي بغيرِ التّي هي أَحسنُ أنْ تُجادِلَ مُبطلًا فيُورِدُ عَلَيْكَ مُبطلًا فلا تُردّهُ بِحُجّةٍ قد نَصَبها اللهُ وَلَكِنْ تُجحدَ قولهُ أو تُجحدَ حقًا يُريدُ ذلكَ المُبطلُ أنْ يُعِينَ به باطلُهُ فَجحدُ ذلكَ الحقِّ مخافةُ أنْ يَكونَ عَلَيْكَ فِيهِ حُجّةٌ»<sup>(٢)</sup>.

ولقد جرى التأكيد على قبول الحقّ في موارد ذكرها القرآن الكريم والسنة النبوية، وأنه من جملة صفات المؤمنين الانصياع للحقّ:

﴿فَبَشِّرْ عِبَادِي الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾<sup>(٣)</sup>.

الانصياع للحق والتسليم له من صفات المؤمنين، وتكون النقطة المقابلة لذلك هو الكبر:

« طَلَبْتُ الخُضوعَ فما وَجَدْتُ إلا بِقبُولِ الحقِّ، اقْبَلوا الحقَّ فَإِنَّ قَبُولَ الحقِّ يُبْعِدُ مِنَ الكِبْرِ»<sup>(٤)</sup>.

وعلى أساس آيات القرآن فمن صفات المنافقين هو تكبرهم:

1. ولأجل الاطلاع يراجع سفينة البحار: ج ١ ص ٥١٢، وأيضاً: وسائل الشيعة: ج ١٨ ص ٣٧٥، و بحار الأنوار: ج ٨٢ ص ١٢.
2. تفسير نور الثقلين: ج ٤ ص ١٦٣.
3. الزمر: الآيات ١٧ و ١٨.
4. بحار الأنوار: ج ٦٩ ص ٣٩٩.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّأُ رُؤُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ  
يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾<sup>(١)</sup>.  
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾<sup>(٢)</sup>.  
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ  
مُصْلِحُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

يصرح القرآن بوجود مظهرين من الكبر: تحقير الناس، وعدم  
الانصياع للحق في المنافقين، فيعتقدون أنهم أهل فهم، بينما يرون  
الآخرين سفهاء، وبناءً على هذا فإنهم يحقرون الناس ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ  
آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾<sup>(٤)</sup>.  
ومن أجل تصوير عدم انصياع المنافقين للحق، فإن الله تعالى شبههم  
بالخشب اليابس: ﴿كَانَهُمْ خَشْبٌ مُسْنَدَةٌ﴾<sup>(٥)</sup>.

### الخوف

ثاني نقطة عرضها القرآن الكريم تتعلق بعلم نفس المنافقين، وللعلم،  
فإن قضية الخوف عندهم، تفوق حد التصور. أساساً، إن للشجاعة  
ارتباطاً وثيقاً بالإيمان. فحيثما يكون الإيمان تكون الشجاعة أيضاً.

1. المنافقون: الآية ٥.
2. البقرة: الآية ٢٠٦.
3. البقرة: الآية ١١.
4. البقرة: الآية ١٣.
5. المنافقون: الآية ٤.

يقول الإمام الباقر عليه السلام: «لَا يَكُونُ الْمُؤْمِنُ جَبَانًا»<sup>(١)</sup>.

يصرّح القرآن في وصف المؤمنين بقضية الشجاعة لديهم، وعدم

تخوفهم من القدرات المادية:

﴿... وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ \* الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ \* الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾<sup>(٢)</sup>.

تعدّ الشجاعة من صفات المؤمنين الصادقين. إلّا أنه ومن حيث إنّ المنافقين لا يستفيدون من الإيمان، وإنّ التوكل والاعتماد على القدرة الإلهية غير المحدودة هي بالنسبة إليهم لا تحمل مفهوماً، فهم على الدوام تراهم في خوفٍ من القدرات الموجودة، وعلى الأخصّ في ساحة المعركة التي كانت تمثّل ميدان الشجاعة، من حيث تشتمل على الفداء والتضحية، فإنّهم في حالٍ من الفرار أبداً وينتظرون فقط نتيجة القتال، من بعيد:

﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾<sup>(٣)</sup>.

تختصّ الآيات ٨ الى ٣٥ من سورة الأحزاب بتحليل معركة

1. بحار الانوار: ج ٦٧ ص ٣٦٤.

2. آل عمران: الآيات ١٧١ - ١٧٣.

3. الأحزاب: الآية ١٩.

الأحزاب الصعبة، وبيان قضاياها. وفي خضم هذه الآيات وردت كلمة الصدق ستّ مرات. وإلى جانب ذلك، تمّ التعرض إلى قضية خوف البعض أيضاً، لأنّ حرب الأحزاب، كانت تمثّل ووفقاً لشروطها الخاصة محكّاً جيداً لمعرفة صدق إيمان المؤمنين، ولإفشاء ادعاء المنافقين الكاذب في إيمانهم.

لقد ذُكر الصادقون في إيمانهم في الآية ٢٣ و ٢٤:

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا \* لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنِّشَاءً أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾<sup>(١)</sup>.

يُستفاد من هاتين الآيتين أن معنى الصدق في الإيمان هو الاستعداد للجهاد في طريق الدين وحتى الشهادة. فجمع نال الشهادة، وجمع على الرّغم من أنّه لم يبلغ هذا الفوز العظيم، إلّا أنّهم كانوا يتأهبون لها كذلك، ومنتظرونها بشجاعة وشهامة.

إنّ الآية ٢٠ من هذه السورة - والتي تقدّمت من قبل - تصوّر لنا خوف واضطراب المنافقين من التواجد في ساحة المعركة.

### القلق والاضطراب

صفة أخرى من صفات المنافقين النفسية هي القلق والاضطراب، لأنّ ظاهرهم يختلف عن باطنهم، وهم دائماً في قلق من أن تفضى أسرارهم

١. الأحزاب: الآيتان ٢٣ - ٢٤.

الباطنية، فتتكشف وجوههم الحقيقية. فكل شخص قد قارف لونا من الخيانة، أو قام بأعمال يتخوف من انكشافها فهو يعاني وعلى الدوام من القلق والاضطراب. فعند العرب هذا المثل المشهور: «الخائن خائف». ومن ناحية أخرى، فإن المنافقين خلوا من الإيمان، فهم لا يعتقدون بمستقبل مشرق حافل بالآمال، كما أنهم في رعب من عاقبة عملهم؛ خلافاً لحال المؤمنين الذين يذكرون الله دائماً فإنهم مستبشرون بالإطمئنان والهدوء:

﴿الَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾<sup>(١)</sup>.

ولما كان المنافقون خونة فإنهم يُستدرجون إلى وادي القلق والاضطراب. كما أنهم يتصورون أن كل نداء مديح للسر أو مهدد إنما هو موجّه إليهم:

﴿يَحْسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾<sup>(٢)</sup>.

فسعي المنافقين المتواصل هو أن يقحموا أنفسهم وبأي وسيلة في صف المؤمنين، ويقنعوهم بأنهم مؤمنون. إلا أنهم وعلى الدوام يعانون من هذا القلق، فلا ينبغي أن يُفتضحوا:

﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وبدليل خوفهم ففي أي وقت تنزل فيه آية جديدة (وعلى الأخص في أوج فعالية المنافقين) فإنهم كانوا يخافون أن يكشف الوحي

1. الرعد: الآية ٢٨.

2. المنافقون: الآية ٤.

3. التوبة: الآية ٥٦.



أسرارهم. والقرآن الكريم يصرِّح بهذه النقطة. كما يؤكِّد القرآن على أن مسير حياة النفاق، لا يحفل بنهاية جيدة، وحتى لو يستطيعون أن يخفوا ما في داخلهم ولعدة أيام، إلّا أن عاقبتهم ستكون الفضيحة:

﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُبَيِّنُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهِزُّوْا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

لقد عُرض في الآيات ١٧ الى ٢٠ من سورة البقرة تشبيهان رائعاً جداً لحالة التردد والخوف والاضطراب لدى المنافقين.

### اللجاجة

رابع خصوصية نفسية للمنافقين هي اللجاجة. فاللجاجة تُعدّ مرضاً روحياً، ومن الموانع الرئيسية للمعرفة الصحيحة. فلقد تم الإعراب في نظرية المعرفة عن هذه النقطة، وهي أن بعض الرذائل الخلقية تبعث على عدم توصل الإنسان إلى الحقيقة ومن جملة تلك الرذائل التعصب بلا طائل، والإصرار بدون دليل على النظرة الخاصة والآمال الباطلة<sup>(٢)</sup>.

يبين الإمام عليّ عليه السلام وبصراحة في الحديثين الآتين هذه النقطة وهي أن الإنسان اللجوج سوف لا يكون واقعياً في نظرتة:

«اللَّجَّاجَةُ تَسِلُّ الرَّأْيَ»<sup>(٣)</sup>.

1. التوبة: الآية ٦٤.

2. نظرية المعرفة: ص ٣١٩.

3. نهج البلاغة: الحكمة ١٧٩.

«اللَّجُوجُ لَا رَأْيَ لَهُ»<sup>(١)</sup>.

فالشخص الذي يكون في وادي اللجاجة سوف لا يكون صاحب رأي، لأن اللجاجة سوف تسدل ستاراً كثيفاً فوق بصره، فينظر إلى كل الحقائق من وجهة نظره الخاصة به. فهكذا إنسان وعلى الرغم من أنه يتوقّر على أدوات معرفة الحق، وعلى الرغم من وضوح الحق، فإنه سوف لا يصل إليه. فلأن الهدف الأساسي للمنافقين هو الوصول إلى آمالهم ومطامحهم، والتحرك في مسير الباطل، فإنهم لا يبلغون الحق أبداً.

يقول الإمام علي عليه السلام:

«مَنْ كَانَ غَرَضَهُ الْبَاطِلُ لَمْ يُدْرِكِ الْحَقَّ وَلَوْ كَانَ أَشْهَرَ مِنَ الشَّمْسِ»<sup>(٢)</sup>.

ولبيان حالة اللجاجة عند المنافقين، فإن القرآن يعمد إلى وصفهم هكذا:

﴿صَمٌّ بَكْمٌ عُمِيٌّ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

ولقد غدت لجاجتهم سبباً لعدم سماعهم ما يجب عليهم سماعه، ولا يرون ما يجب أن يرونه، ولا يقولون الذي يجب أن يقولوه، مع أنهم يمتلكون عيناً وأذناً ولساناً، والتي تمثل جوارح الإنسان العادي التي يمكن استخدامها في الإدراك الصحيح. إلّا أنّ لجاجتهم عملت على عدم إفادتهم من هذه النعم العظيمة، وأن يتخبّطوا في وادي الجهالة. إنّ كون المنافقين صمّ وعمى وبكم لا يختص بيوم الآخرة، بل أنّهم

1. ميزان الحكمة، ج ٤، ص ٢٧٧.

2. غرر الحكم: رقم ٨٨٥٣.

3. البقرة: الآية ١٨.

في هذه الدنيا أيضاً كذلك، وصيرورتهم إلى 'الصم والعمى والبكم في يوم القيامة تجسيد لحالاتهم في هذه الدنيا.

نقرأ في الآية ١٧٩ من سورة الأعراف:

﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾.

وبالاستناد إلى الآية أعلاه يمكن القول وبطمأنينة، بأنهم في هذه الدنيا وتأثير من اللجاجة التي عندهم، فهم لا يمتلكون سمعاً ولا بصرأً صحيحين من أجل إدراك الحقّ ولا لساناً ناطقاً لكي يبيّن ذلك، إضافة إلى أنّهم غائصون في ورطة الباطل.

والنتيجة هي: أنّ منافذ فهم المنافقين تغلق بتأثير من اللجاجة التي عندهم. فيذكر القرآن الكريم بهذه الحالة بتعبير (طبع القلوب):

﴿طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿فَطَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

فختم على قلوبهم، مما ينجم عنه عدم استماعهم إلى 'كلام الحقّ، وعدم انصياعهم إلى 'الحقّ، لتصبح طبيعتهم الدائمة. وبالطبع فإنّ من الواضح أنّهم هم الذين هيئوا الأرضية لطبع القلوب، كما أنّ ختم قلوبهم هو النتيجة لعملهم.

1. التوبة: الآية ٩٣.

2. المنافقون: الآية ٣.

## الضعف في المعنوية

الخصوصية النفسية الأخرى التي يطرحها القرآن فيما يتعلق بالمنافقين هي ضعف معنوياتهم.

إنَّ ضعف النظرة لدى هذا الجمع، يدفع بهم إلى أن يقيموا للناس حرمةً أكثر من حرمة الله. فالمنافقون لا يمتلكون إيماناً صلباً، ولذا فإنهم أيضاً ليس لديهم الاعتقاد الراسخ بالقدرات الغيبية والمعنوية. فكل استحيائهم وخوفهم هو من القدرات الظاهرية، فهم يستحيون من الناس، إلا أنهم لا يستحيون من الله؛ لأنهم لا يرون أنفسهم بين يدي الحضرة الإلهية، حيث أنهم نسوا الله تعالى:

﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَحْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾<sup>(١)</sup>.

إذا ما تظاهروا أيضاً بالانخراط في العبادة، أو قاموا بمراعاة المظاهر الإسلامية، فإن ذلك لأجل جلب الاهتمام وكسب ثقة الناس، فعبادتهم خالية من أي محتوى ومعنوية:

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ... إِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَأُّونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى﴾<sup>(٣)</sup>.

1. النساء: الآية ١٠٨.

2. النساء: الآية ١٤٢.

3. التوبة: الآية ٥٤.

ولو أنه قد طُرِحَ في الآيتين أعلاه كسل المنافقين وريائهم في الصلاة، إلا أن المرحوم العلامة الطباطبائي يقول في تفسير الميزان: الصلاة في القرآن هي رمز كلِّ المعنويات. وبملاحظة هذه النقطة فإنَّ مفهوم كلا الآيتين هو أنه ليس لدى المنافقين اللياقة بالنسبة لجميع العبادات والمعنويات، فلا يملكون نشاط المؤمنين الروحي. وبالطبع ففي البعض الآخر من آيات القرآن، كان قد طُرِحَ أيضاً ضعف المنافقين وقرهم المعنوي في سائر العبادات. وعلى سبيل المثال: فلقد جاء في ذيل الآية ٥٤ من سورة التوبة: ﴿وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾. فتبيّن هذه الآية وبصراحة أن إنفاقهم لا يتمتع بإخلاص. والآية ٤٧ من سورة الأنفال أيضاً ترى أنّ تحركهم في صفِّ المقاتلين لغرض الجهاد هو عمل مرائي، فتحدّر المسلمين من هذا العمل المنافق: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ﴾. وعلى كلِّ حالٍ فإنَّ الأشخاص الذين يتخذون من التظاهر بالدين وسيلة لأجل طلب السلطة وللوصول إلى الغايات الشيطانية، فإنه لا تتوفر في سلوكهم وحديثهم الروح الدينية الحقيقية، كما أنهم يؤدّون العبادات بكسل ولغرض الرياء.

### اتباع الهوى

ويبين القرآن الكريم خصوصية أخرى تتعلق بالمنافقين، وهي اتباع الهوى. فالمنافقون وبدلاً من الانصياع إلى الحق، واتباع العقل والنقل، فإنهم يتبعون ميولهم وأهواءهم الشيطانية. إنَّ المنافقين وبسبب اعتقاداتهم الضعيفة والأهداف المشؤومة التي

يحملونها، فإنَّ عبادة الله واعتماد الحق محوراً، لا تمثل عندهم مفهوماً  
ما، إنَّهم عبَاد الهوى' وأناتيون:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَعَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

إنَّ الكبر والغرور هما من مظاهر اتباع الهوى' التي تم التطرق لها في  
قسم مستقل. هناك ظاهرتين واضحتين لاتباع الهوى، هما: طلب الرئاسة،  
وحب الدنيا، وكتاهما موجودتان في المنافقين. إنَّ حبَّ المال  
والمنصب يعدّ واحداً من عوامل تثبيت وتنمية جذور النفاق في قلوبهم.

يقول رسول الإسلام ﷺ:

«حُبُّ الْجَاهِ وَالْمَالِ، يُنْبِتَانِ النَّفَاقَ كَمَا يُنْبِتُ الْمَاءُ الْبَقْلَ»<sup>(٢)</sup>.

من الواضح أنَّ الرئاسة التي تمثل المقصد والهدف الأصليين للشخص  
ستكون مذمومة. إنَّ طلب الرئاسة يمثل أكبر خطر على دين الأفراد.  
ينقل أرباب السير: أنه ذُكِرَ اسم أحدهم في حضور الإمام الرضا عليه السلام،  
وقالوا: هو طالبٌ للرئاسة، فقال الإمام:

«مَا ذُنْبَانِ ضَارِيَانِ فِي غَنَمٍ قَدْ تَفَرَّقَ رِعَاؤُهُمَا بِأَضْرَ فِي دِينِ الْمُسْلِمِ  
مِنَ الرِّيَاسَةِ»<sup>(٣)</sup>.

أما المال والرئاسة لأجل تأمين عيش المرء وعائلته، ولخدمة الخلق،  
وكأداة لإقامة الحق والإطاحة بالباطل، فإنَّها ليست مذمومة، بل إنَّها عين

1. محمد ﷺ: الآية ١٦.

2. المحجة البيضاء: ج ٧٣ ص ١٤٥.

3. بحار الأنوار: ج ٧٣ ص ١٤٥.

الآخرة والسير في طريق العبادة، والوصول إليها في بعض الأحيان واجب.  
يقول الإمام عليؑ - عبر إشارته إلى نعله المليء بالخصف  
والعديم القيمة - في خطاب إلى ابن عباس:  
«وَاللَّهِ لَهِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ إِمْرَتِكُمْ إِلَّا أَنْ أُقِيمَ حَقًّا أَوْ أُدْفَعَ بَاطِلًا»<sup>(١)</sup>.  
وعلى هذا الأساس، لقد تعيّن في الإسلام أنّ سعي المرء من أجل  
الحصول على عيشه وعيش أسرته، يمثل عين الجهاد في سبيل الله:  
«الكَادُ عَلَى عِيَالِهِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»<sup>(٢)</sup>.  
خدمة الآخرين أيضاً، عُدَّت في مصاف أفضل الأعمال:  
«خَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ»<sup>(٣)</sup>.

أما هدف المنافقين البحت فهو الوصول إلى السلطة والمال والمنصب  
الديني، وليس خدمة الآخرين. ولأجل الوصول إلى هدفهم الحقيق،  
فأنهم مستعدون لأن يضعوا كل القيم الإسلامية والإنسانية تحت أقدامهم.  
كان مرض عبدالله بن أبي ريس منافقي المدينة - بسبب أنه كان  
يرى أنّ وجود الرسول ﷺ في المدينة، قد أطاح ببرج وسور زعامته،  
وكل خياناته ضد الرسول ﷺ والمسلمين كانت من أجل الوصول إلى  
الزعامة التي ضاعت من يده.  
لقد صُوِّرَ حبّ المنافقين الشديد للدنيا في القرآن الكريم بصورة

1. نهج البلاغة: الخطبة ٣٣.

2. بحار الأنوار: ج ٩٦ ص ٣٢٤.

3. مستدرک الوسائل: ج ١٢ ص ٣٩١.

جيدة، ففي موارد كثيرة بيّن القرآن هذه النقطة، وهي: أنّ المنافقين لم تكن لهم مشاركة في ساحة المعركة، إلّا أنّهم وبمحض انتهاء الحرب كانوا يحضرون في ساحة تقسيم الغنائم. ولقد كانوا يطلبون حقّهم من الأموال التي تم الحصول عليها. لقد أوردنا سابقاً جزءاً من هذه الآيات في مبحث انتهازية المنافقين.

### تبرير الذنب

أشير من قبل أنّ سعي المنافقين التام هو إخفاء ما في باطنهم وخبث سريرتهم، وعبر التظاهر، وعبر الأيمان الكاذبة، فهم كانوا يوزنون أنفسهم في صفّ المؤمنين. في صدر الإسلام كان الحال كذلك، إلّا أنّهم ما كان بوسعهم أن يخفوا باطنهم وعلى الدوام، وأحياناً تبدر منهم بعض الأعمال التي تضع المؤمنين في شك بالنسبة إلى إيمانهم الواقعي. وفي مثل هذه الموارد فإنّ المنافقين ولأجل أن لا يسقطوا من الأعين، ولكي لا تتزعزع ثقة المسلمين بهم، يقومون بتبرير عملهم القبيح وذنوبهم، كي يكونوا مقبولين لدى عامّة الناس:

﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا \* أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾<sup>(١)</sup>.

ساحة الجهاد والقتال مع العدو هي إحدى الميادين التي يشعر المنافقون

1. النساء: الآيتان ٦٢ - ٦٣.



بالرعب لدى تواجدهم فيها. وعبر التوسل بذرائع محبكة يبررون عدم اشتراكهم في الجهاد. في الآية التالية، وصف لتندرع أحد المنافقين بعدم اشتراكه في حرب تبوك:

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أُنذِرْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

جاء في سبب نزول هذه الآية: أن أحد كبار القبائل -والذي كان من زعماء المنافقين - طلب من الرسول ﷺ ترخيصاً كي لا يشترك في حرب تبوك، وكانت ذريعته أنه: إن يقع نظري على النساء الروميات فأفتتن وأقترف المعصية. فأجازه الرسول ﷺ ليقى في المدينة، وبعد ذلك نزلت هذه الآية وأفشت عما في باطنه، ولقد وجده الله عاصياً، وقد سقط في الفتنة<sup>(٢)</sup>.

كانت ذريعة جمع آخر من هؤلاء لأجل عدم الاشتراك في الحرب، هي أنه لم تكن محال عيشهم تحفل بالأمن. والقرآن قد فضحهم من خلال نقله هذه الذريعة، وأعلن أن هدفهم الأصلي هو الفرار من الحرب:

﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾<sup>(٣)</sup>.

وعلى كل حال، فإن ما يرتكبه المنافقون من تبرير للمعصية هو أكبر من المعصية نفسها. ولو أنه من الممكن وفي بعض الموارد يتمكّنون من

1. التوبة: الآية ٤٩.

2. مجمع البيان: ج ٣ ص ٣٦.

3. الأحزاب: الآية ١٣.

خداع جمع من المؤمنين المغفلين، أو من الذين يصدّقون بسرعة، إلّا أنّهم غافلون عن اطلاع الله تعالى على كلّ ما يخفونه في قلوبهم، وأنّه سوف يفضحهم في الدنيا، وسوف يبلوهم بعذاب جهنّم في الآخرة. ممّا يجدر ذكره أنّ تلك المسألة الآنفة غير منحصرة في القضايا الفردية للمناققين بل إنّهم يبرّرون سوء نواياهم في نطاق القضايا الاجتماعية والسياسية والفكرية أيضاً، وهي قابلة للبحث والمناقشة في مظانّها.

## الفصل الرابع

### خصوصيات المنافقين الثقافية

#### التمويه عبر الظاهر

إنّ المنافقين ولكي يتمكنوا من مواصلة القيام بأعمالهم التخريبية، فيعملون على تغيير أو هدم ثقافة وعقائد المسلمين، فهم وقبل كل شيء بحاجة إلى ثقة المسلمين بهم، فإنّ ما يعدّ ضرورياً بالنسبة إليهم، هو أن يستيقن المسلمون أنّهم جزء منهم، فلا ينظرون إليهم نظرة تشكيك. انطلاقاً من أجل أن تؤثر نفثات المنافقين المنحرفة في المجتمع، وأن يصلوا إلى أهدافهم المشؤومة، فإنّ سعيهم ينصبّ على تمويه ظاهريهم على المجتمع. لأنّه إذا ما انكشف باطنهم وظهرت أسرارهم، فإنّه فسوف لا يقبل أحد كلامهم، وسوف يتمّ إحباط مؤامراتهم بسهولة. فهم يعلمون أنّه لو تفتّشت أسرارهم، فإنّهم سيفقدون أيّ نوع من أنواع النشاطات التبليغية والسياسية ضدّ الإسلام والحكومة الإسلامية. لذا، فإنّ من الأهداف الثقافية الرئيسية للمنافقين هي السعي لتمويه واجهتهم الظاهرية، وكسب ثقة عموم المسلمين، وهذا نفسه يمثل خطراً كبيراً جداً، فيتصور الأعداء أنّهم منهم، فضلاً عن اعتقادهم بأنّهم جزء

من خواص المجتمع الإسلامي.

وتحدث الفاجعة الثقافية في الوقت الذي لا يعلم فيه المسلمون بطرق المنافقين الثقافية، فينظرون إليهم بعنوان صديق. يقول الإمام عليّ عليه السلام في خصوص خطر الاعتماد على ظاهر الأشخاص ، وضرورة الالتفات إلى 'ماهية الأفراد:

«إِنَّمَا أَتَاكَ بِالْحَدِيثِ أَرْبَعَةٌ رِجَالٌ لَيْسَ لَهُمْ خَامِسٌ: رَجُلٌ مُنَافِقٌ مُظْهِرٌ لِلْإِيمَانِ مُتَّصِعٌ بِالْإِسْلَامِ لَا يَتَأَنَّمُ وَلَا يَتَحَرَّجُ، يَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله مُتَعَمِّدًا، فَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّهُ مُنَافِقٌ كَاذِبٌ لَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ وَلَمْ يُصَدِّقُوا قَوْلَهُ، وَلَكِنَّهُمْ قَالُوا: صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ رَأَاهُ وَسَمِعَ مِنْهُ وَلَقِفَ عَنْهُ فَيَأْخُذُونَ بِقَوْلِهِ»<sup>(١)</sup>.

### طرق المنافقين من أجل تمويه المظهر

يستفيد المنافقون من طرق مختلفة، للسعي من أجل التمويه عبر الظاهر. وإنطلاقاً من أنهم لا يؤمنون بالمبدأ والمعاد، فإن بحث شرعية الصيغ أو عدم شرعيتها لا يحفل عندهم بأي وجه من الأهمية. ففي منطقتهم يحاولون بلوغ الهدف عبر الاستفادة من أي وسيلة حتى الوسائل المستخدمة ضد الإنسانية. نكتفي هنا بذكر خمسة موارد من طرق المنافقين لغرض التمويه عبر الظاهر:

1. نهج البلاغة، الخطبة ٢١٠.

## أ- التصريحات الكاذبة والمرائية

وكما مرَّ آنفاً فإنَّ الجوهرة الأصلية للنفاق هي الكذب والتظاهر الكاذب. فالمنافقون يستفيدون - ولأجل التمويه الظاهري المتوافر عندهم وعلى نطاق واسع - من حربة الكذب.

أحياناً كانوا يَفِدُّونَ على الرسول الأكرم ﷺ بصورة جماعية ويقرُّونَ برسالته، فيعلن الله تعالى وبصراحة عن هذا الإقرار الجماعي: مع أنك حقاً مبعوث إلهي إلا أنَّهم في هذا الإقرار كانوا كاذبين، وأنَّهم لا يؤمنون برسالتك من أعماق القلب:

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وعندما ينهاتهم المؤمنون عن إيجاد الفساد والدمار، فيعبرون ويتأكدهم الكثيرة عن أنَّهم مصلحون ومبدعون. وبالطبع فيكرر الله تعالى تكذيبه لكلامهم ويصفهم بالمفسدين:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ \* أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وإلى جانب الكذب فإنَّ المنافقين أيضاً وببساطة كانوا يُفكرون ويكذبون كلامهم الذي قالوه من قبل، وبشهادة التاريخ ففي موارد كانوا يحدثون، وفي الوقت الذي كان يصل كلامهم إلى الرسول ﷺ، فإنَّهم

1. المنافقون: الآية 1.

2. البقرة: الآيتان 11 - 12.

كانوا ينكرونه تماماً ويكذبون التقرير بشدة.

ويذكر التاريخ في أيام حرب تبوك، أن أحد المنافقين يُدعى (جلّاس)، وبعد أن استمع إلى 'بعض خطب الرسول ﷺ، أنكرها بشدة، وكذب الرسول، بعد رجوعهم إلى المدينة، سمع شخص بهذه الحادثة يُدعى (عامر بن قيس)، فحضر بين يدي رسول الله وأعاد الكلام في حديث جلّاس.

وعندما أحضر جلّاس بين يدي رسول الله ﷺ أنكر تقرير عامر، فأمرهما رسول الله بأن يؤدّيا القسم بجانب منبر مسجد المدينة فلا يكذبان، فحلف كلُّ منهما أن لا يكذب. أضاف عامر بعد قسمه: إلهي أنزل آية على رسولك، وعرف فيها الشخص الصادق!

فأمّن الرسول والمؤمنين، ثمّ نزل جبرئيل وأبلغ الرسول بهذه الآية: ﴿يَخْلُقُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾<sup>(١)</sup>.

ولدى ملاحظة هذه الآية والآيات التي سبقت، يتضح أن الكذب والتكذيب غير الصحيحين، يعدّان من أساليب المنافقين لأجل النفوذ بين جمع المؤمنين وتجسيد ذواتهم بينهم.

كان المنافقون في زمان الرسول ﷺ يفكرون أنّهم وبهذه الأكاذيب والتكذيبات يستطيعون أن يخدعوا الرسول ﷺ ويخفون باطنهم. يؤكد الله تعالى ومن خلال كشفه لأسلوبهم هذا (الكذب والتكذيب): أنه

1. التوبة: الآية ٧٤.

ليس كذلك بحيث تظنوا أنّ الرسول غير مطلع على حالكم، أو بسبب أنّه سريع التصديق، فإنّه ليشق بكلامكم.

يحدثنا التاريخ أنّه كانت مجموعة من المنافقين جالسةً في حلقةٍ، فكانوا يتحدثون حول الرسول الأكرم وبشكل غير متناسب، فقال أحدهم: لا تحدثوا بهذا الحديث، لأننا نخاف أن يصل إلى 'سمع محمد، فيسيء إلينا بالقول، ويثير الناس ضدنا!

فقال أحدهم مجيباً: ليس مهماً! نحن نقول كلّ ما نشاء، وإذا وصل كلامنا إلى 'سمعه نذهب إليه وننكر، وهو يقبل منا القول؛ لأنّ محمداً إنسان سريع التصديق ويدعن للكلام، وأنّه يقبل كل ما يقوله أي شخص.

في هذه الأثناء نزلت الآية ٦١ من سورة التوبة<sup>(١)</sup>، وأجابت عليهم.

#### ب - الأيمان الباطلة

ثاني طريقة يستخدمها المنافقون لغرض التغلغل بين جموع المؤمنين، هو القسم الكاذب، فإنّهم وعبر الأيمان المغلظة يسعون للحدّ من الكشف عن باطنهم، ومن خلال ذلك يقومون بالتخريب.

﴿تَخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾<sup>(١)</sup>.

1. وهو قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُوذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ آذَنٌ قُلِّ خَيْرٍ لَكُمْ يَوْمَئِذٍ يَوْمِنَا لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُوذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

فيسعون بواسطة القَسَم لكي يحتلّوا مكانة مموّهة في الظاهر بين جموع المؤمنين.

﴿وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لِمِثْقَالِ ذَرَّةٍ مِمَّا كَسَبُوا وَكَانُوا يَكْفُرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

فالمنافقون لأنّهم لا يملكون إيماناً حقيقياً، وليس كسب الرضا الإلهي عندهم بذي أهمية. هذا من جانب، ومن جانب آخر فإنّهم يعتنون بمكانتهم المزيّفة بين الناس وجلب أنظارهم، فيسعون عبر أيمان متنوعة في مختلف الميادين أن يكسبوا رضى المؤمنين.

يصرح الله تعالى في القرآن الكريم أنّ هدفهم الأساسي هو كسب رضى المؤمنين. هذا في الوقت الذي يشكّل فيه الرضا الإلهي الأهمية القصوى، فطالما لا يكون الله راضياً، فإنّ رضا المؤمنين لم يكن سيحقق لهم فائدة، حتى لو كان بوسعهم ومن خلال استغلال هذه الثقة وهذا الرضا أن يستمروا في نشاطاتهم الهدامة:

﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

﴿يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.

1. المنافقون: الآية ٢.

2. التوبة: الآية ٥٦.

3. التوبة: الآية ٦٢.

4. التوبة: الآية ٩٦.



## ج - تبرير أسلوبهم غير الصحيح

الطريقة الأخرى التي يستفيد منها المنافقون لأجل كسب رضا المؤمنين وإثبات حسن النية، وكونهم من المحسوبين ضمنهم هو تبريرهم أعمالهم وأساليبهم الهدامة. ولقد وردت إشارة في فصل خصوصيات المنافقين النفسية إلى هذه النقطة، وصرحنا بوجود هذا التبرير في مجالات مختلفة.

فالمنافقون ولكي لا يفقدوا الثقة العامة، ويقوموا على تمويه المظهر، فإنهم يمتلكون وعلى الدوام تبريرات، فيلبسون باطلهم بلباس الحق.

يقول الإمام علي عليه السلام في وصف أهل النفاق:

«يَقُولُونَ فَيَسْبَهُونَ وَيَصِفُونَ فَيَمُوهُونَ»<sup>(١)</sup>.

ذكر القرآن في موارد متعددة بهذه الذريعة، وكذب المنافقين.

وعلى سبيل المثال: فأولئك الذين برّوا عدم تواجدهم في حرب تبوك، فإنهم كانوا يحاولون تبرير عدم استطاعتهم، غير أن الله كذب تبريرهم هذا:

﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ الشَّقَّةُ وَسَيَّحِلُّونَ بِاللَّهِ لَوْ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وفي مورد آخر، فحدود مائة وثمانين نفرًا من المنافقين لم يشتركوا

1. نهج البلاغة، الخطبة: ١٩٤.

2. التوبة: الآية ٤٢.

في حرب تبوك. فعندما رجع الرسول ﷺ والمسلمين من الحرب، طرحوا أعداراً مختلفة لغرض تبرير عملهم. فنزلت الآية التالية في ذم هذا السلوك من المنافقين، وصرّحت بأن أعدارهم الكاذبة تلك لا تنطلي على الله تعالى. ولقد أعلنت على المؤمنين، فكشفت الستار عن أسرارهم:

﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

#### د - التظاهر

كانت المراعاة الشديدة للمظاهر الدينية، والكلام الجميل، وإرضاء العوام، وإبراز وجهات النظر الإصلاحية، هي الطريقة الأخرى للتمويه على ما في داخلهم.

كان بعض المنافقين من المعاصرين للإمام عليّ عليه السلام من عبّاد وزهاد زمانهم في الظاهر، حيث لم يكونوا تاركين صلاتهم في الليل وتلاوتهم للقرآن وطول السجود.

لقد كان هذا التظاهر يخدع كثيراً من المؤمنين، ويدفع بهم إلى أن لا يشكّوا بإيمانهم أدنى شك.

لقد كان تظاهر المنافقين بهذا الشكل - وحسب تصريح القرآن - يضطر معه حتى الرسول إلى التعجب والحيرة:

1. التوبة: الآية ٩٤.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ إِنِّي يَتُؤَلُّوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾<sup>(١)</sup>.

فتظاهروهم ما كان يختص بعملهم وحسب، بل أنهم كانوا في كلامهم الرائع أيضاً مخادعين:  
﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾<sup>(٢)</sup>.

#### هـ - الوعود الكاذبة

من الطرق الأخرى للمنافقين لغرض التمويه عبر الظاهر، هي قطع الوعد والتراجع عنه.

ومن الطبيعي فإنه وفي بعض الأحيان تصدر عن المنافقين أخطاء لا يمكن تبريرها، أو أنّ المؤمنين لا يقبلون بتبريراتهم. ففي مثل هذا الحال، يتظاهرون بالتوبة، فكانوا يعاهدون أن يظلّوا راسخين وثابتي القدم. وانطلاقاً من أنهم لم يقرّ في قلوبهم للدين والمعتقدات الدينية قرار، فإنّ التراجع عن الوعد مماثل للكذب، فهو أمر عادي عندهم.

نزلت هذه الآية في قضية تخلف المنافقين في حرب الأحزاب:

﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ

مَسْئُولًا﴾<sup>(٣)</sup>.

1. المنافقون: الآية ٢.

2. البقرة: الآية ٢٠٤.

3. الاحزاب: الآية ١٥.

وفيما يتعلق بثعلبة بن حاطب أيضاً، فإن الله تعالى يذكر بقضية نقضه العهد. كان هذا الشخص مسلماً فقيراً يسكن المدينة، حيث طلب من الرسول ﷺ أن يدعو له الله كي يجعله ثرياً، فقال الرسول: يمكنك أن تفي بشكر المال القليل أحسن من المال الكثير الذي لا تستطيع الوفاء بشكره، فقال ثعلبة: إذا ما أعطاني الله فإنني سأؤدّي كلّ حقوقه الواجبة. فضاغت ثروته بفعل دعاء الرسول ﷺ وإلى الحد الذي أصبح حضوره في المدينة واشترآكه في صلاة الجمعة والجماعة يمثل مشكلة لديه، فنقل سكنه إلى أطراف المدينة. وعندما وفد عليه جابي الزكاة، قال: لقد أسلمنا كي لا ندفع الجزية والخراج، فامتنع عن دفع الزكاة.

ورغم ذلك فإن ثعلبة فيما بعد ندم على عمله، فجاء بزكاته إلى الرسول ﷺ، لكن الرسول ولغرض معاقبته ليكون عبرة للآخرين رفض زكاته، فنزلت الآيات التالية نفس هذه الحادثة:

﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنِ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ \* فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ \* فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾<sup>(١)</sup>.

إن العهد ونقضه والوعد بالإصلاح في المستقبل وعصيان ذلك، هي الطريق التي استخدمها المنافقون لكي تبقى عليهم بين جمع المؤمنين، والأرضية التي هيئوها لخداع العوام.

1. التوبة: الآيات ٧٥ - ٧٧.

## إضعاف المعتقدات الدينية

ثاني خصوصية لسلوك المنافقين الثقافي هو إضعاف المعتقدات الدينية لدى المسلمين. ومن المتيقن إنه وطالما لم تتعرض عقائد الناس إلى التحريف أو التزلزل والضعف، فإنه لا أحد يستطيع أن يفرض عليهم شيئاً مخالفاً لعقيدتهم، حتى لو كان حكومة أو سلطة. فما الحكومة إلّا على الأبدان، وليست السلطة في التنفّذ على القلوب. وفي النهاية فإنّ الناس سوف يصلون إلى الشيء الذي يرضون به قليلاً.

كان أهم تأثير لدين الإسلام على المسلمين - بل عموم الأديان على أتباعهم - هو إزالة المعتقدات الخرافية والوهمية وترسيخ العقائد الثابتة والمنطقية.

ابتدأ الإسلام بالتحول والتأثير المباشر في نفوذه داخل الناس، بعدئذٍ أصبح السعي وعبر استقرار الحكومة الإسلامية إلى أن يتخذ المجتمع شكله المقبول من قبل الإسلام.

على مدى ١٣ سنة من عمر الإسلام في مكة اهتم رسول الإسلام ﷺ بصورةٍ بالغةٍ ببناء الإنسان وترسيخ القواعد العقائدية والخلقية للأفراد، وفي المدينة قام بتشكيل حكومة على أساس النظرية السياسية للإسلام.

كان المنافقون يعلمون أنه طالما تمسك المسلمون بتعليمات الرسول في بناء أبنائهم وعقائدهم الإسلامية الخالصة، فإنه ليس بمستطاعهم أن يحكموهم، ولا أن يدعوهم لأن يسلّموا لهم. لذا فهم كانوا يسعون وعلى الدوام إلى إثارة الشك وخلخلة عقائد المسلمين ومعتقداتهم الدينية، كما هو اليوم أيضاً، فإنّ أهم هدفٍ للغزو الثقافي من قبل الأعداء هو نفس هذه النقطة.

إنّ هدف المنافقين هو تجريد المسلمين من روح الإسلام، وأن

يحولوا بينهم وبين الاعتقاد الراسخ بالدين وأهدافه ونتائجه وأحقية محتواه، كي يتمكنوا عبر هذا الطريق من شنّ الحرب على الحكومة الإسلامية والتسلّط على رقاب المسلمين.

إنّ أهمّ خطّة في عمل المنافقين لأجل الوصول إلى هذا الهدف المشؤوم، هي إثارة الشبهة، فإنهم يسعون من خلال بثّ الشبهات المختلفة إلى أن يجروا المسلمين إلى وادي الشك في معتقداتهم الدينية.

قبل ذكر الشواهد التاريخية والآيات التي اهتمت ببيان أسلوب المنافقين هذا، فإنّه من اللازم أن نوضّح ولو باختصار السؤال والشبهة: ممّا لا يدعو إلى الشكّ هو أنّ السؤال وروح الاستفسار أمران مطلوبان، وجديران بالاهتمام، فكأفّة العلوم والمعارف البشرية هي رهن الأسئلة التي استثارت الناس، فجعلوا يفتشون لها عن أجوبة.

فإذا كانت روحية التحقيق والبحث عن الحقيقة - والتي تعتبر جزءاً من فطرة البشر - غير متوقّرة، وإذا كانت البشرية لا تسعى للوصول إلى إجابة عن أسئلتها، فإنّ علم البشر لم يكن ليبلغ مبلغه الحالي من الرقي والازدهار.

لقد ورد التأكيد الكثير في دين الإسلام على الاستفسار، والبحث عن اجابة للأسئلة التي تعرض للإنسان، ورغب في إسداء النصح والتعلّم لأجل حلّ مبهمات الأمور.

يأمر القرآن وبصراحة أنّه إذا ما استعصى عليكم شيء فاسألوا عنه من العارفين به من أهل الذّكر والعلماء:

﴿فاسألوا أهل الذّكر إن كنتم لا تعلمون﴾<sup>(١)</sup>.

1. النحل: الآية ٤٣، والأنبياء: ٧.

النقطة الأخرى التي تبدو جديرة الاهتمام بالسؤال في الإسلام، هي الإجابات التي أوردتها الله في القرآن الكريم من خلال الأسئلة التي وُجِّهَتْ إلى 'الرسول ﷺ'. فهناك موارد بدأت بـ (يسألونك)، حيث سألوا الرسول ﷺ عن الروح، والأهْلَة، والأنفال، وعن حكم الخمر والميسر<sup>(١)</sup>....

يقول الرسول الأكرم في الترغيب والتحفيز على السؤال:  
 «أَلْعِلْمُ خَزَائِنٌ وَمَفَاتِيحُهَا السُّؤَالُ فَاسْأَلُوا يَرْحَمَكُمُ اللَّهُ فَإِنَّهُ يُؤَجِّرُ فِيهِ أَرْبَعَةَ السَّائِلِ وَالْعَالِمِ وَالْمُسْتَمِعِ وَالْمُحِبِّ لَهُمْ»<sup>(٢)</sup>.

إنَّ احتجاجات وأبحاث الأئمة عليهم السلام الكثيرة وإجاباتهم على أسئلة مختلف الناس، وحتى استفسارات المعاندين والملحدين تمثل شهادةً أخرى على إثبات مطلوبة السؤال، وعلى الاهتمام بها في سيرة الأئمة عليهم السلام<sup>(٣)</sup>.

فواضح أنَّ ما يُطرح هو السؤال الواقعي ومعرض الكمال والفهم لغرض العلم والإفادة. أمَّا إذا كان السؤال لغرض إيقاع الآخرين في ورطةٍ أو لأجل اختبارهم، أو كان الهدف منه الوصول إلى 'علم لا يحمل معه فائدة للإنسان، فهذا النوع من السؤال ليس له قيمة، وليس

1. وعلى سبيل المثال، راجع سورة البقرة: الآيات ١٨٩ و٢١٥ و٢١٧ و٢١٩ و٢٢٠

و٢٢٢....

2. ميزان الحكمة: ج ٤ ص ٣٣٠.

3. يمكن العثور على قسم منها في كتاب الاحتجاج للعلامة الطبرسي، ج ١ و ج ٢.

فقط عديم القيمة وحسب بل قد نُهيَ عنه.

يقول الإمام عليّ عليه السلام في إجابته عن سؤال رجل كان قد طرح مسألة

معقدة عديمة الفائدة:

«سَلْ تَفْقُهًا وَلَا تَسْأَلْ تَعْتًا»<sup>(١)</sup>.

وفي بعض الأحيان أيضاً أُجيب في القرآن الكريم عن أسئلة المستفسرين من الرسول صلى الله عليه وآله، بالشكل الذي يُستشف منها عدم جدوى طرح هكذا أسئلة.

سألت مجموعة من المسلمين عن (الأهلة): فما معنى هلال الشهر ولماذا يبدو القمر تدريجياً هلالاً ثم يصبح قمراً، ومن ثم يعود إلى حالته الأولى؟<sup>(٢)</sup>

وفي الإجابة عن هذا السؤال يأمر الله تعالى الرسول صلى الله عليه وآله، بأن يبيّن آثار وفوائد تغيّرات هلال الشهر، فمفهوم هذه الإجابة عن ذلك الاستفسار من المسلمين هو أنّ ذلك الذي يليق بالسؤال عنه وعلمه هو آثار وثمرات تغيير حالات القمر. وليس أنه لماذا حالات القمر تخضع إلى التغيّر؟ وما هي علّتها؟

إنّ التفاوت الأساسي بين السؤال والشبهة هو: أنّ الهدف الأصلي من إثارة الشبهة هو عدم الحصول على إجابة. بل إنّ مُثير الشبهة يسعى إلى أن يطرح موضوعه الباطل ملبساً بلباس الحقّ على أشخاص لا يملكون

1. نهج البلاغة: الحكمة ٣٢٠.

2. البقرة: الآية ١٨٩ قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْآهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ...﴾.



القدرة على تشخيص الحقّ والباطل بدقة.

يقول الإمام عليّ عليه السلام فيما يتعلق بعلّة تسمية الشبهة:

«وَأِنَّمَا سُمِّيَتْ الشُّبُهَةُ شُبُهَةً لِأَنَّهَا تُشَبِّهُ الْحَقَّ»<sup>(١)</sup>.

إنّ مثير الشبهة إذا لم يكن يعلم أنّه في حال مغالطته سوف ينكشف، وموضوعه الباطل سوف يتّضح، فإنّه ما كان له أن يقوم بطرحه أصلاً، كما أنّه يتهرب من طرح الشبهة على أشخاص ذوي مستوى من العلم بوسعهم أن يجيبوا عليها، حتّى إنّهُ ليسعى إلى الطعن بالإجابات المحتملة. إنّ هدف هؤلاء الأفراد هو استقطاب العديد من البسطاء الى جانبهم، وإثارة الشكوك في أذهانهم لحرفها عن عقائدهم، إلى جانب التخلّي عن الحقّ.

إنّ مثيري الشبهات يعملون على خلط باطلهم بالحقّ؛ كي يخدعوا الأشخاص الذين لا يتمكنون من تمييزه. إنّ الشبهات دائماً ما تعرض ملبسةً بلباس الحقّ، وهي تستقطب الأفراد السُدّج إليها وبساطة.

إنّ الشبهة ليست باطلاً محضاً. لأنّ الباطل المحض يُكشف بسهولة. يرى الإمام عليّ عليه السلام أنّ منيع الفتن هو مزج الحقّ بالباطل. ويضيف: أنّه إذا انفصل الحقّ والباطل عن بعضهما فإنّه سيكون تشخيص الطريق سهلاً جداً:

«إِنَّمَا بَدَأُ وَقُوعِ الْفِتَنِ أَهْوَاءُ تُتَّبَعُ، وَأَحْكَامٌ تُبْتَدَعُ، يُخَالِفُ فِيهَا كِتَابُ

1. نهج البلاغة: الخطبة ٣٨.

الله، وَيَتَوَكَّلْ عَلَيْهَا رِجَالٌ رِجَالًا عَلَى غَيْرِ دِينِ اللَّهِ، فَلَوْ أَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مِزَاجِ الْحَقِّ لَمْ يَخْفَ عَلَى الْمُؤْتَدِينَ، وَلَوْ أَنَّ الْحَقَّ خَلَصَ مِنْ لَبْسِ الْبَاطِلِ انْقَطَعَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ الْمُعَانِدِينَ، وَلَكِنْ يُؤْخَذُ مِنْ هَذَا ضِعْثٌ وَمِنْ هَذَا ضِعْثٌ فَيُمَزَجَانِ»<sup>(١)</sup>.

إنَّ طرح القضايا التخصصية بمظهر علمي من قبل جمع من غير المختصين بذلك العلم هو المصداق البارز لإثارة الشبهة.

### إثارة الشبهات

إنَّ إحدى أهم طرق المنافقين في إضعاف المعتقدات الدينية، والإفراغ من روح الدين والإيمان، هو إثارة الشبهات. يسعى المنافقون وعلى الأخص في اللحظات المتأزمة والحساسة، لا سيَّما في زمان الحروب، إلى إثارة الشبهة التي تزيد من مشكلات المسلمين، وتهدف إلى إضعاف روحية المقاتلين، فإنَّ عملهم النفاقي يحول بينهم وبين المشاركة في الميادين الحساسة والتواجد في ساحة المعركة.

نشير هنا إلى موردين من الشبهات التي طرحت من قبل المنافقين، واهتم بإيرادهما القرآن الكريم:

### أ - نسبة الخداع إلى الدين

إبَّان معركة بدرٍ فإنَّ المنافقين - وعبر تكذيبهم لوعود النصر من

1. نهج البلاغة: الخطبة ٥٠.

عند الله ونصر المسلمين - اعتبروا أنّ ذلك خدعة، فكان غرضهم ومن خلال إيجاد القلق والاضطراب وزعزعة إيمان المسلمين بوعود الله تعالى، العمل على منعهم من التواجد في المعركة.

ومن ضمن تذكير الله تعالى بهذه القضية، فإنه يصرح بأنّ وعد الله حتمي، وإذا توكلتم عليه فسوف تنتصرون:

﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>.

كان سبب نزول الآية أعلاه هو أن المسلمين عند حفر الخندق واجهوا صخرة عظيمة ولم يتمكنوا من كسرها، فطلبوا المساعدة من الرسول ﷺ، فكسّر الرسول الصخرة بثلاث ضربات بفعل شعاع الطاقة الإلهية، وقال: من هنا لاح لي قصر ملوك الحيرة والمدائن وكسرى وقصور الروم، اخبرني الوحي بأنّ أمّتي سوف تنتصر عليهم، وسيستولون على كلّ قصورهم وقلاعهم، وعندها قال: أبشروا أيّها المسلمين والشكر لله تعالى، فإنّ النصر سيعقب هذا الحصار.

في هذه الأثناء، التفت أحد المنافقين إلى عدد من المسلمين وقال: ألا تعجبون من محمّد، كيف يمنيكم بأمنيّ ويعدكم ببشاراتٍ ليس لها أساس، ويقول: إنّه يبصر من هنا قصور الحيرة والمدائن والروم، وبهذه السرعة أنّها ستفتح، في الوقت الذي يعدكم بهذه البشارة، فإنّكم من لقاء العدو في فرقٍ وخوفٍ؟<sup>(٢)</sup>

1. الأنفال: الآية ٤٩.

2. سيرة ابن هشام: ج ٢ ص ٢١٩. المنشور الخالد: ج ٤ ص ٧٤ و ٧٥.

## ب - شبهة أنهم ليسوا على الحقّ

ثاني شبهة كان المنافقون قد درجوا على إشاعتها دائماً وخاصة في أيام الحرب، هي شبهة عدم كونهم على الحقّ. فعندما كان المسلمون يتكبدون خسائر في الحروب، أو أنّ عدداً منهم كان يفوز بالشهادة، أو حينما كان يتعرض المسلمون إلى هزيمة، فإنّ المنافقين كانوا وعبر طرح هذه المسألة، وهي (إذا ما كنّا على الحق ما كنّا نُهزَم، أو ما كنّا نضحّي بقتلى)، فإنّهم كانوا يلقون بالشكوك في أذهان المسلمين.

يُستفاد من إيضاح القرآن الكريم بهذا الشأن أنّ المنافقين في معركة أحد، وما تلاها، كانوا قد بذلوا أكبر جهدٍ وسعيٍ من أجل إثارة هذا التفكير المنحرف:

﴿يَقُولُونَ لَوْ كَان لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾<sup>(١)</sup>.

فكانوا يعتبرون الهزيمة في ساحة المعركة علامة عدم إحكام نبوة الرسول وقاعدته. وأحياناً كانوا يقولون: لو لم يذهب الشهداء إلى الجهاد ما كانوا ليقتلوا.

﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾<sup>(٢)</sup>.

وفي الإجابة عن هذه الشبهة: بأنّ الاشتراك في الحرب هو الباعث على القتل، يقول تعالى: إنّ الموت هو تقدير وقدر إلهي، فليس من

1. آل عمران: الآية ١٥٤.

2. آل عمران: الآية ١٦٨.

الموت مفراً، وأبداً ما كان للقتلى في معركة أحد علامة على عدم قوة  
تبوة الرسول ﷺ، وما كانت دليلاً على التصميم غير الصحيح، وأنَّ  
الأشخاص الذين لم يشتركوا في هذه المعركة ليس بوسعهم أبداً أن  
يفرّوا من الموت، أو أن يؤخروه:

﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي يُسُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى  
مَضَاجِعِهِمْ﴾<sup>(١)</sup>.

يرى القرآن أنّ الموت والحياة بيد الله تعالى، وأنّ الذهاب إلى ساحة  
المعركة وعدمه لا يؤثر في تقديم الموت أو تأخيره:  
﴿وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

في التأكيد على هذه النقطة، أنّ الموت والحياة ليسا باختيار الإنسان،  
يعلن القرآن الكريم للمنافقين أنّه إذا كانت عقيدتكم هذه بأنّ الموت  
بأيديكم، فحينما يُصلِّكم سفير الموت فهل بوسعكم أن تدفعوه عنكم  
وتخلّصون أنفسكم من بين يديه؟:

﴿قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

كان المنافقون دائماً، ولأجل إثارة الشك لدى المسلمين بأحقية  
مذهبهم وعقيدتهم، يطرحون هذا الشعار: إذا كنا على حقّ فلماذا  
قُتلنا وقدّمنا الضحايا؟ إنّ الضربات التي تلقيناها في حرب بدر دلالة على

1. آل عمران: الآية ١٥٤.

2. آل عمران: الآية ١٥٦.

3. آل عمران: الآية ١٦٨.

أنَّ طريقنا وديننا ليسا على حق!

استعرضنا في ما مضى قسماً من إجابات القرآن عن هذه الشبهة. فالنقطة المحورية في إبطال هذه الشبهة التي ينبغي الاهتمام بها هي: أنَّ الهزيمة الظاهرية ليست دلالةً على عدم كون الناس على حق، مثلما هي الانتصارات الظاهرية أيضاً، لا تمثل دلالةً على الأحقية. إن كثيراً من الأنبياء عليهم السلام والذين هم يقيناً على الحق لم يتوفقوا في تنفيذ برامجهم!

لقد قتل بنو إسرائيل بين الطلوعين في يوم واحد ٧٠ نبياً، وبعدهُ انشغلوا بأعمالهم كما لو لم يحدث أي حادث! أفكان قتل الأنبياء دليلاً على 'بطلانهم'؟ وهل كان انتصار بني إسرائيل على الأنبياء الإلهيين دليلاً على أحقيتهم؟ فمن المتيقن أنَّ الجواب منفي.

إنَّ نسبة الخداع إلى الدين وشبهة عدم كون الناس على حق هما نموذجان من الشبهات التي كان المنافقون يطلقونها ولكن شبّهات المنافقين لم تنحصر أبداً بهذين الموردين.

إن القول بأن الدين جاء من أجل الآخرة فقط، وازاحته عن ساحة الحياة، وفصله عن السياسة بحجة تقديس الدين، وطرح أحقيّته ازاء كافة الأديان والمذاهب، ومساواة الولي مع سائر الناس، والتشكيك في درايته وتشخيصه المصلحة في الأوامر، والتشكيك في ضرورة تنفيذ الأحكام الإلهية، وترويج التمحور حول الإنسان بدلاً من التمحور حول الله، ومئات من الموارد الأخرى من هذا القبيل، هي شبّهات كان ولا يزال المنافقون يطلقونها ويردّدونها، كي يتمكنوا من العمل عبر هذا الطريق على 'إضعاف المعتقدات الدينية وإفراغ المجتمع من الروح الدينية، وأن يصلوا إلى أهدافهم المشؤومة؛ ومن الواضح ان ما يستهدفه المنافقون من وراء القاء الشبهات في معتقدات المسلمين، هو

النيل من القضايا الدينية ذات التأثير الفاعل في تكوين المجتمع الاسلامي واقامة الحكومة الإسلامية، والتي يرونها حاجزاً يحول بينهم وبين سلطتهم.

ومن هذا الجانب فإنّ سعيهم الحثيث كان ضد المباني السياسية والاجتماعية للدين، ومن أجل فصل الدين عن السياسة، وحصر الدين في مجال المسائل الشخصية.





## الفصل الخامس خصوصيات المنافقين السياسية

### الخصوصيات الإجتماعية للمنافقين

#### شعار الإصلاح والإيمان

يظهر المنافقون في المجتمع دائماً في مظهر إصلاحى وإيماني، ولا يتحدثون بصراحة في أي وقت عن محاربة الدين والنظام الإسلامي. فهم لا يدعون في أي وقت الفساد، وينفون ذلك بقوة. بل حتى أنهم يعدّون أنفسهم من الدعاة إلى الإصلاح، ومن الطليعة المتديّنة. ولقد أشرنا مسبقاً، عند شرح الخصوصية الفردية للمنافقين إلى قسم من الآيات التي تبين حالة المنافقين هذه، فقلنا: إنّ المنافقين كانوا يتحدثون بصورة جميلة وجذّابة حتى أنّ الرسول يعجب لحلاوة كلامهم الخبيث الممزوج بالعدل. لقد كان الرسول ﷺ يعرف بعض المنافقين، ولكن في نفس الحال كان كلامهم معسولاً، ويطلقون الشعارات البراقة، إضافة إلى أنّهم كانوا يطرحون شعارات وأحاديث جيدة! هذه الخصوصية الفردية لهؤلاء مشهودة تماماً في السلوك

الاجتماعي لمجاميع المنافقين:

﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

1. النور: الآية ٤٧.

في مؤامرة مسجد ضرار كان شعار المنافقين يتمثل في إعانة المرضى والمعذورين والتظاهر بالهدف المقدس. يصرح القرآن الكريم: إنهم بنوا مسجداً لغرض الإضرار بالمسلمين، وتقوية الكفر، وإثارة التفرقة بين المؤمنين، وجعله قاعدة للعدو. ولقد كانوا يحلفون أنا ما كان لدينا رأي آخر سوى الحسنى والخدمة للعباد. ﴿وَلِيَحْلِفَنَّ إِنَّ أَرْدُنَا إِلَّا الْحُسْنَى﴾<sup>(١)</sup>.

في مورد آخر يُحدّث القرآن الكريم عنهم وبشكل يتظاهر فيه المنافقون بالطاعة والانصياع البحت لأوامر الرسول الأكرم ﷺ. أمّا عندما يعتقدون مجالسهم الخاصة فإنهم يعمدون إلى التآمر على الرسول<sup>(٢)</sup>. يعد الظاهر المنظم والشعارات الجيدة من خصوصيات السلوك الاجتماعي في النفاق الخوفي والطمعي. فأنهم ولغرض القيام بأعمالهم المنكرة في المجتمع المؤمن يقومون بترديد شعار الإيمان، ويتظاهرون بالتدين والإصلاح.

#### الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف

ثاني خصوصية للسلوك الاجتماعي لدى المنافقين هي الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف. إن لفظتي «المعروف» و«المنكر» تتضمّنان مفهوماً واسعاً، وتشتملان على كافة القيم وازدادها في الميادين الفردية

1. التوبة: الآية ١٠٧.

2. راجع: النساء: الآية ٨١.

والاجتماعية والسياسية والعسكرية والثقافية. هدف حزب النفاق هو إشاعة أنواع المنكرات ونسف القيم الإسلامية، فيتقصى هذا الهدف المشؤوم بواسطة سلوكه وكلامه.

﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾<sup>(١)</sup>.

في الآية أعلاه - كما يستفاد من سبب النزول - مصداق المنكر هو ما يُناقض قيمة سياسية. فإنَّ المنافقين كانوا يدعون إلى عدم مواكبة الرسول الذي هو رمز النظام الإسلامي، ويطلبون من المؤمنين تجاوز أوامر الولاية. فمن الواضح أنَّ خطورة هذا المنكر السياسي أكبر بكثير من المنكرات الفردية.

يجب إضافة هذه النقطة وهي أنه قد يقع أحياناً - وبطريق الخطأ - الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف، ولكن ليس بقصد التخريب أو التأمر. ومثل هذه الموارد قابلة للعفو والتلافي.

أمَّا في المقابل أحياناً ثمة جمع ملتزم، يعرفون المعروف لكنهم يدعون ويعملون ضده، وخبروا المنكر ويحفزون الناس على القيام به. كان أبو حنيفة يسعى في بعض الموارد بأنَّ يفتي بما يخالف الإمام الصادق عليه السلام. ففي مورد السجود ما كان يعلم بحكم الإمام الصادق عليه السلام هل هو بفتح كلا العينين أو إغلاقهما؟! فأفتى بإبقاء إحدى العينين مفتوحة وإغلاق الأخرى ليكون الأداء، وعلى كلِّ حالٍ مخالفاً لوجهة

1. التوبة: الآية ٦٧.

نظر الإمام الصادق عليه السلام <sup>(١)</sup>.

كان المنافقون يعمدون - مع معرفتهم الدقيقة بالمعروف والمنكر في الثقافة الإسلامية - إلى الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف، ولكن بمتهى الدقة والخداع، كي لا تتكشف أسرارهم، وتصبح طعنة حربتهم عقيمة الأثر.

### البخل

خصوصية أخرى لسلوك المنافقين الاجتماعي هي البخل، فهم يمتنعون عن إنفاق المال في سبيل مصالح المجتمع:

﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ <sup>(٢)</sup>.

كما أُشير في سورة الأحزاب عند وصف المنافقين إلى روحيتهم الاجتماعية هذه: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ <sup>(٣)</sup>.

ولم يكن المنافقون منشغلين ببخلهم وقبض أيديهم، وعدم كونهم من أهل الإعانة للمحرومين والمتضررين، وحسب، بل إنهم كانوا يمنعون الآخرين من الإنفاق:

﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُوا  
وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ <sup>(٤)</sup>.

وقد ورد بشأن نزول الآية أعلاه: أنه بعد غزوة بني المصطلق اختلف

1. الإمام الصادق والمذاهب الأربعة: ج ٣ و ٤.

2. التوبة: الآية ٦٧.

3. الأحزاب: الآية ١٩. أشحة: جمع شحج بمعنى الشديد البخل، وهي توأم مع الحرص.

4. المنافقون: الآية ٧.

اثنان من المسلمين، أحدهما من الأنصار والآخر من المهاجرين، وذلك حينما نضح الماء من البئر، فاستنصر أحدهما بالأنصار والآخر بالمهاجرين. فهبَّ عبدالله بن أبي - كان من زعماء المنافقين - لنصرة الرجل الأنصاري، ووقعت مشاجرة لفظية قوية بينهما. فغضب عبدالله بن أبي بشدة، فقال في الوقت الذي كان إلى جنبه جمع من قومه: لقد آوينا نحن هؤلاء المجموعة من المهاجرين وأعناهم، إلا أن عملنا يشبه المثل المعروف الذي يقول: (سَمَّنْ كلبك يأكلك)، فهذه نتيجة الفعل الذي صنعتموه أنتم الأنصار بأنفسكم، منحتم هذه المجموعة مكاناً في مدينتكم، وتقاسمتم أموالكم معهم، فلو لم تكونوا لتعطوا بقايا طعامكم لأمثال هذا الرجل، فإنهم ما كانوا يعتلون رقابكم، وإنهم لكانوا يرحلون عن أرضكم، ولكانوا يلتحقون بقبائلهم.

يضيف القرآن ضمن بيانه لوصية عبدالله بن أبي هذه التي يدعو فيها الأنصار إلى ترك الانفاق على المهاجرين: إن خزائن السماوات والأرض بيد الله تعالى، وببخل وشحّة عدد من المنافقين، لا يتغير شيء.

#### الإستهزاء بالمؤمنين وتقصي عيبيهم

من خصوصيات السلوك الإجتماعي للمنافقين والتي تُعدُّ علامة مرضهم الروحي وقلبيهم غير السليم، هي السخرية وتقصي عيوب المؤمنين. ان السخرية والبحث عن العيب هما نوعان من التعدي والتجاوز باليد على شخصية الافراد وهتك كرامتهم، هذا في الوقت الذي تعتبر فيه شخصية وكرامة وماء وجه الانسان أعز من كل شيء. ان انتهاك كرامة الافراد من خلال السخرية وتقصي العيب هو علامة

مرض الشخص وعقدة مركب نقصه او ضعفه الروحي. فالمنافقون مبتلون بهذا المرض:

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

كان المنافقون يحتجّون على المسلمين في الحروب وبأي صورة، فكانوا يعرفون الأشخاص الذين يقدمون المساعدات الحربية للمقاتلين على أنهم مرّائين، ويستهزئون كثيراً من الأشخاص الذين كانوا قد قدموا -وعلى الظاهر - إغاثة تافهة بقولهم: هل أنّ جيش الإسلام يحتاج إلى مثل هذه المعونة؟! مثل هذه المعونة؟!!

ينقل أرباب السير: أنّ أبا عقيل الأنصاري تطوّع ومن خلال القيام بعمل إضافي واستقاء الماء طوال الليل لأجل تهيئة منين من التمر، فخصّ عائلته بمنّ منه، وقدم المنّ الآخر إلى رسول الإسلام لغرض تناوله في ساحة المعركة، فاستهزأ وسخر منه المنافقون، فنزلت في هذه الأثناء الآية التالية:

﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

يستفاد من الآية أعلاه أنّ المنافقين كانوا يعيبون على مجموعة، ويسخرون من مجموعة، فكانت سخريتهم من الأشخاص الذين كانوا

1. البقرة: الآية ١٤.

2. التوبة: الآية ٧٩.

قادرين على تقديم إعانات ضئيلة الى جيش الاسلام، بينما كان تقصي العيب يتعلق بالأشخاص الذين كانوا قد قدموا الإعانات الطائلة. فكانوا يحملون المجموعة الأولى التخطئة تحت عنوان الرياء، والمجموعة الثانية تحت عنوان تقديم المعونة التافهة والعديمة القيمة.

### الشماتة

الخصوصية الأخرى للسلوك الاجتماعي للمنافقين هي الشماتة، وهي معنى: متى ما يصيب المؤمنين مشقة يفرحون ويلومونهم، وإذا ما تطال المؤمنين بهجة ورفاهية، فهم يحزنون. يوضح القرآن معنوية ونفسية المنافقين هذه في عدد من الموارد:

﴿إِنْ تَمَسَسَكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾<sup>(١)</sup>.

﴿فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وبسبب العداوة التي بينهم وبين المسلمين فإنَّ المنافقين لم يستطيعوا رؤية فرحهم ورفاهيتهم. ومتى ما تعرَّض المسلمون إلى مشقة ومشكلة فكانوا يفرحون.

1. آل عمران: الآية ١٢٠.

2. النساء: الآية ٧٢.

3. التوبة: الآية ٥٠.

ففي المصاعب كانوا ينحون باللائمة على المسلمين ويشمتون بهم، ويعلمون لهم عن موقفهم الذي امتاز من قبل، وأحياناً يشكرون الله أنهم لم يكونوا مع المؤمنين.

### الحقد

المنافقون يكتنون عداوة شديدة للمؤمنين والنظام الإسلامي، وشعلة هذا الحقد متقدمة في صدورهم على الدوام. وكل ما يكون في قلب الإنسان، فإن ما سيظهر منه ويبرز في ظاهر أعمال الإنسان وفي كلامه هو صغير وقليل.

يبين الإمام عليؑ هذه النقطة الى الناس وبصراحة في كلام قيم: «مَا أَضْمَرَ أَحَدٌ شَيْئاً إِلَّا ظَهَرَ فِي فَلَائِتِ لِسَانِهِ وَصَفَحَاتِ وَجْهِهِ»<sup>(١)</sup>.

وعلى هذا الأساس، فإن ما يظهر من حقد المنافقين على المؤمنين في السلوك والكلام شيء ضئيل. يصرح القرآن في خلال إشارته إلى هذه النقطة بأن ما أخفوه في قلوبهم أكثر بدرجات من الشيء الذي يبدو في كلامهم أحياناً:

﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾<sup>(٢)</sup>.

لذا يمكن التعرف ومن مظاهر سلوك وكلام المنافقين على قسم من عدائهم للنظام الإسلامي والمؤمنين. وهذا التحري كان مقدمة لمكافحة أعداء كهؤلاء وطردهم من المجتمع الإسلامي.

1. نهج البلاغة: الحكمة ٢٦.

2. آل عمران: الآية ١١٨.



## الفصل السادس أسلوب التعامل مع المنافقين

### الكشف والفضح

إنّ آخر بحث يتم طرحه هنا هو أسلوب التعامل مع المنافقين. وهذا الفصل بحث يشتمل على تعليق. وما طرحه هنا هو كلام مجمل فقط، نتمنى في المستقبل أن نستطيع في توسيعه وتفصيله.

إنّ ما يُبحث في أسلوب التعامل مع المنافقين أكثر ما يُعنى باحباط نشاطاتهم السياسية والثقافية وأساليبهم الخائبة، وافشال مساعيهم الرامية الى تحقيق أهدافهم المشؤومة.

فأول نقطة في التعامل معهم، هو كشف ما يتعلق بقضية النفاق، وأهداف المنافقين وطرقهم. إنّ الكشف عن وجوه النفاق والتعريف بها وبأعمالها، يمكنه أن يمثل أيضاً عاملاً مؤثراً جداً في مكافحة النفاق والمنافقين.

ابتداءً يجب التذكير بهذه النقطة، فلقد اعتُبر الإسلام تقصّي العيب وإفشاء أسرار ومعاصي الآخرين عملاً مرفوضاً.

في بعض الروايات ذكر أنّ ذنب إفشاء معصية الآخرين بمقدار نفس تلك المعصية، ووجهت توصية إلى المؤمنين: إذا أحببتم أن يستر الله عيوبكم يوم القيامة، فاسدلوا الستار على عيوب الآخرين في الدنيا.

قال الرسول الأكرم ﷺ في جواب شخص سأله: ماذا نفعل كي

يستر الله عيوبنا يوم القيامة؟:

«أُسْتُرَّ عِيُوبَ إِخْوَانِكَ يَسْتُرُ اللهُ عَلَيْكَ عِيُوبَكَ»<sup>(١)</sup>.

يقول الإمام عليؑ في نهج البلاغة:

«وَأِنَّمَا يَنْبَغِي لِأَهْلِ الْعِصْمَةِ وَالْمَصْنُوعِ إِلَيْهِمْ فِي السَّلَامَةِ أَنْ يَرْحَمُوا  
أَهْلَ الذُّنُوبِ وَالْمَعْصِيَةِ، وَيَكُونَ الشُّكْرُ هُوَ الْغَالِبُ عَلَيْهِمْ، وَالْحَاجِزُ لَهُمْ  
عَنْهُمْ، فَكَيْفَ بِالْعَائِبِ الَّذِي عَابَ أَخَاهُ وَعَيْرَهُ بِلُؤَاهُ؟!

أَمَا ذَكَرَ مَوْضِعَ سِتْرِ اللهِ عَلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِهِ مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ  
الَّذِي عَابَهُ بِهِ؟! وَكَيْفَ يَذُمَّهُ بِذَنْبٍ قَدْ رَكِبَ مِثْلَهُ؟! فَإِنْ لَمْ يَكُنْ رَكِبَ  
ذَلِكَ الذَّنْبَ بَعَيْنِهِ فَقَدْ عَصَى اللهُ فِيْمَا سِوَاهُ، مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ.

وَأَيْمُ اللهُ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ عَصَاهُ فِي الْكَبِيرِ، وَعَصَاهُ فِي الصَّغِيرِ، لَجَرَّأْتَهُ  
عَلَى عَيْبِ النَّاسِ أَكْبَرًا!

يَا عَبْدَ اللهِ، لَا تَعْجَلْ فِي عَيْبِ أَحَدٍ (عبد) بِذَنْبِهِ، فَلَعَلَّهُ مَغْفُورٌ لَهُ،  
وَلَا تَأْمَنْ عَلَى نَفْسِكَ صَغِيرَ مَعْصِيَةٍ، فَلَعَلَّكَ مُعَذَّبٌ عَلَيْهِ. فَلْيَكْفُفْ مَنْ  
عَلِمَ مِنْكُمْ عَيْبَ غَيْرِهِ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ عَيْبِ نَفْسِهِ، وَلْيَكُنِ الشُّكْرُ شَاغِلًا لَهُ  
عَلَى مُعَافَاتِهِ مِمَّا ابْتُلِيَ بِهِ غَيْرُهُ»<sup>(٢)</sup>.

وعلى أساس أقوال الإمام عليؑ، فإنه يجب على الناس أن يمتنعوا  
إفشاء أسرار إخوانهم في الدين والإنسانية ومن هتك مكانتهم وليس هذا  
فحسب، بل إن وصية الإمام هي أن على الحكومة أن تستر على الكثير

1. ميزان الحكمة: ج ٧ ص ١٤٥.

2. نهج البلاغة، الخطبة ١٤٠.

من الذي تعلمه من أسرار الناس، وأن تقوم بغض الطرف عن أخطاء الأفراد إلى الحد الممكن.

يقول الإمام عليّ في رسالته إلى مالك الأشتر:

«وَلْيَكُنْ أَبْعَدَ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ وَأَشْنَأَهُمْ عِنْدَكَ أَطْلَبَهُمْ لِمَعَائِبِ النَّاسِ، فَإِنَّ فِي النَّاسِ عُيُوبًا أَلْوَالِي أَحَقُّ مَنْ سَتَرَهَا، فَلَا تَكْشِفَنَّ عَمَّا غَابَ عَنْكَ مِنْهَا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ تَطْهِيرُ مَا ظَهَرَ لَكَ وَاللَّهُ يُحْكُمُ عَلَى مَا غَابَ عَنْكَ، فَاسْتُرِ الْعَوْرَةَ مَا اسْتَطَعْتَ يَسْتُرُ اللَّهُ مِنْكَ مَا تُحِبُّ سَتْرَهُ مِنْ رَعِيَّتِكَ»<sup>(١)</sup>

وبالطبع ان الامر بستر الذنوب وعدم إفشاء العيوب، فيما اذا كانت معاصي الفرد شخصية، ولا تضرّ بمصالح المجتمع الهامة والنظام أيضاً. أما إذا ما أقدم الشخص على ابتزاز واختلاس الأموال العامة، وتضييع حقوق الناس، أو بادر الى ممارسة ضد النظام، يجب الإبلاغ عن نشاطاته، كما يجب ملاحظته ومراقبته بسبب ابتزازه واختلاسه للأموال، أو بسبب عدائه للنظام الإسلامي.

كان الإمام عليّ عليه السلام يبعث دوماً مفتشين إلى نقاط مختلفة، لأجل تفقد إدارة أعمال أمرائه وولاته. وفي أي وقت كان يصل إبلاغ عن تجاوز المسؤولين وعصيانهم للأوامر، كان يستدعيهم ويوبخهم بشدة، ويحاكمهم.

إنّ مواجهة الإمام القاطعة مع المبتزين والمختلسين لبيت المال

1. نهج البلاغة: الرسالة ٥٣

طيلة مدة حكمة مشهودة تماماً.

وفي مجال ذنوب وعيوب المنافقين، ينسحب عليهما دقيماً كلا القسمين أعلاه أيضاً. فإذا كانت أعمالهم وذنوبهم فسقاً وفجوراً فردياً يجب التعامل معهم بالمداراة والتستر. أما عندما يقومون بنشاطات تستهدف الإطاحة بالنظام فيجب إفشاء طرقهم والكشف عن أفرادهم، كي لا يتمكنوا ومن خلال الاستقرار في نطاق من الأمن أن يمارسوا التخريب.

كما أشرنا ومن قبل فلقد زاول القرآن الكشف وفي أكثر من ثلاثمائة آية عن المنافقين وفعاليتهم التخريبية، فقام بتعريفهم وبشكل دقيق من خلال إحصائه لأوصافهم.

إن إفشاء قضية النفاق والكشف عن حزب المنافقين يتضمن فوائد أساسية:

أحدها، هي تلك التي تبعث على يقظة المخدوعين بقضية النفاق، وعودتهم إلى دائرة الحق. والفائدة الأخرى: هي أن يحذر الأفراد من قضية النفاق، فيأخذون حذرهم من المنافقين الذين ينزؤون مع مماثلتهم. وفي النهاية وعبر الكشف، ستعرض حرمة مكانة المنافقين وأرواحهم إلى الخطر، فيتناقص مستوى نطاق نشاطاتهم التخريبية.

### مواجهة طعنات النفاق

و من النقاط المهمة التي تتعلق بالتعامل مع المنافقين: هي التعرف على طعنات النفاق. في البداية يجب التعرف على أدوات وأهداف النشاطات التخريبية للمنافقين، ومن ثم العمل على مواجهتها. أحد المسائل الأكثر ضرورة لمعرفة النفاق، هي معرفة طرقه

وأساليب نشاطاته الثقافية والسياسية. هذه المعرفة هي المقدمة الأصلية والركن الأساسي لمقارعة العدو، لأنه طالما لا يمكن التعرف على العدو ولا معداته في الغزو، فإن ساحة قتاله ما كانت ستمخض عن جدوى. نشير هنا إلى عدد من الطرق الأساسية للتصدي لطعنات المنافقين. بالطبع فإن أي نوع من أساليب التخريب ومعدات العدو الهجومية لابد أن تتضمن وسيلة خاصة للمواجهة والتي لا يتسع المجال لذكرها هاهنا جميعاً.

#### أ - الإعلام الصحيح

لقد أشرنا ومن قبل إلى أن واحدة من طعنات المنافقين هي بث الإشاعة. فأحسن وأسلم طريق لمكافحة هذه القضية هي الإعلام الصحيح وفي الوقت المناسب. يستفيد صنّاع الإشاعة من الفراغ الإعلامي، فيشتغلون بنشر الإشاعات. فإذا ما كانت قضية نقل المعلومات والأخبار إلى الناس تجري في توقيت دقيق وصحيح، فإن مما لا شك فيه أن الإشاعات سوف تفقد أثرها.

وفي نهج البلاغة يعتقد الإمام عليّ عليه السلام أن واحدة من حقوق الناس على حكام المجتمع هي إطلاع الناس على ما يجري في البلاد، ويقول: «أَلَا وَإِنَّ لَكُمْ عِنْدِي أَنْ لَا أَحْتَجِزَ دُونَكُمْ سِرّاً إِلَّا فِي حَرْبٍ»<sup>(١)</sup>. وعلى الظاهر فإن قضية الحرب والأسرار العسكرية ما كان لها خصوصية في الحديث أعلاه، وهي مجرد لذكر نموذج فقط. ويمكننا

1. نهج البلاغة: الرسالة ٥٠.

أن نفهم أنّ معيار الإمام في عدم إفشاء بعض الأسرار والمعلومات الحالية للجهاز هي مراعاة مصلحة الحكومة والناس. وبالتوجه إلى هذا الأصل، ومن أجل مواجهة أسلوب اثاره الاشاعات من قبل الجهاز الأموي، كتب الإمام عليّ عليه السلام - بعد انتهاء حرب صفين - رسالة إلى المدن المختلفة، يبين للناس في هذه الرسالة تفصيل قضية صفين، وأوضح علّة مقاتلة معاوية ومن حوله، وكذلك المفاوضات بين كلا المجموعتين<sup>(١)</sup>.

فواحدة من الدلائل الرئيسية لكتابة الإمام لتلك الرسالة هي: أنّ الإمام كان يتنبأ أنّ معاوية وأشياعه وأعدائه يحرضون الناس على مناوئة الزعامة العلوية، وذلك عبر بثّ الإشاعة والإعلام الكاذب المضلل بين المسلمين وتخريب الأفكار العامة. فاستبق الإمام الأحداث، ومن خلال عرض إعلامي سريع وصحيح عمل على تنوير أفكار الناس وإيضاح مبهمات القضية.

وما خلا المورد أعلاه توجد موارد أخرى كثيرة في نهج البلاغة، أوصل من خلالها الإمام في مناسبات مختلفة تقارير الأوضاع إلى الناس، فحدّد من اثاره الاشاعات واتّساع نطاقها.

#### ب - الرد على الشبهات وزيادة الوعي الديني والسياسي

إنّ إثارة الشبهات هي الأسلوب الآخر الذي يستخدمه المنافقون.

1. نهج البلاغة: الرسالة ٥٨.

فيجب - وعبر الإجابة المنطقية على شبهات المنافقين وفي الوقت المحدد - تجريدهم من هذا السلاح والحيلولة دون تأثيرهم.

إنَّ الإجابة على الشبهات بمعية المنطق والاستدلال هو من أهمّ علائم الاقتدار للدين. والله الحمد فإنَّ نظام الحياة في الإسلام يتمتع بمساندة العقل والفطرة القوية. ولغرض التصدي لطعنات أهل النفاق فإنه من اللازم وفي ضمن الإحاطة الدقيقة بالدين القيام باحتواء شبهات المنافقين، ومنعهم من الوصول إلى أهدافهم المشؤومة وذلك عبر تنفيذ شبهاتهم.

الناس مجبولون على فطرة الانصياع للحق، فإذا كان بوسعنا عرض الأمور الحقّة إليهم بصورة شفافة فإنهم سوف يذعنون للحق، وعلى الأخصّ الشباب الذين لاتُعيقهم موانع المعرفة، وتبدو لديهم الرغبة بالتعرف إلى الحقيقة على أشدها وأسرعها، حيث سيتمّ تعرّفهم على الحق. وفي المقابل فإنهم سيدعنون له. ولقد جاء في الأحاديث والروايات الإعراب في الروايات عن هذه الروحية العالية المتوفرة في فترة الشباب، فضلاً عن الشواهد التاريخية التي أكّدت ذلك أيضاً.

فما آمن بالنبيّ موسى عليه السلام إلا الشباب فقط<sup>(١)</sup>، ولقد استقطب رسول الإسلام صلى الله عليه وآله أكثر ما استقطب هم الشباب، وذلك في بداية البعثة، وفي ظل ظروف مكة الصعبة.

أمّا الطريق والأساسي الآخر للحدّ من تبلور الشبهات، والذي يعد

1. يونس: الآية ٨٣ وقوله تعالى ﴿فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه﴾. ورد في التفاسير الروائية على أنّ الذرية هم الشباب.

مفيداً هو زيادة الوعي الديني والسياسي لأفراد المجتمع. فإذا تعرّف أبناء الأمة على دينهم بصورة جيدة، فتكون عندهم القدرة على تحليل الشبهات ونقدها، فإنّ المنافقين ما كانوا يتمكّنون عبر إثارة الشبهة من القاء المسلمين في الشك، ولسوف تتم الإطاحة بمؤامرتهم في غضون الخطوة الأولى.

إذا ما كان جميع أفراد المجتمع يتمتّعون بوعي سياسي وقدرة في النقد والتحليل للحوادث السياسية الجارية في زمانهم، فإنّ المنافقين ومن خلال التآمر وإثارة الفتنة والتظاهر سوف لا يتوقّفون لخداع المسلمين والمؤمنين.

لو كان لأصحاب الإمام عليّ عليه السلام ووعي، ما كان لهم أن يقعوا أسيري الشك إزاء حيلة معاوية وعمرو بن العاص في قضية رفع المصاحف فوق الرماح في معركة صفّين، وما كان لهم أن يكفّوا عن قتال جيش النفاق، جيش معاوية.

إنّ رقيّ الوعي السياسي والديني لدى أفراد المجتمع من أكثر الطرق الأساسية لمكافحة النفاق وطعناته المتفاوتة. فوجود الوعي الكافي لدى أفراد المجتمع له أن يبطل مفعول أنواع الحيل والمكر التي يتّبعها المنافقون.

### المحافظة على الوحدة

إنّ إثارة التفرقة وإيجاد الاختلاف بين المسلمين هي من طعنات حزب النفاق المحورية. فالطريق لمواجهة هذه القضية هو حراسة حرمة وحدة المجتمع الإسلامي. فإذا ما تحرك المسلمون نحو التمحور حول الله والاعتصام بحبله المتين، ونبذوا التمحور حول النفس، فإنّه من



المتيقن به أن طعنة المنافقين ستفقد أثرها.

أمر الإسلام بـ (الاعتصام بحبل الله) والنهي عن التفرق. فإن الالتحام بالحاكمية الدينية والأحكام الإسلامية، والتخلُّق بالأدب الإسلامي، والانصراف عن أتباع الأهواء النفسية، سوف يبعث على تكوين مجتمع متحد، ومع الاتحاد فإن الأعداء، ومن جملتهم المنافقين سوف لا يصلون إلى أهدافهم أبداً.

إن السعي لحفظ الوحدة واستئصال الخلافات حركة سامية يجب على كل شخص وفي أي منصب أن يسعى لأجله، بما يتناسب مع موقعه. كان الرسول الأكرم ﷺ يتدخل شخصياً لإنهاء الخلافات والأحقاد فيما بين الأفراد والقبائل. ولقد كان يعمل على تشويقهم لأجل مراعاة القيم الإسلامية والصداقة والمساواة والاتحاد.

#### التعامل الصارم مع المنافقين

الأسلوب الآخر للتعامل مع المنافقين هو الصرامة في مواجهتهم. وطالما تظل قضية النفاق في مرحلة الكلام، فإن النظام الإسلامي يعمد إلى مواجهته ثقافياً وبوضوح. أما عندما يقومون بالتخريب فإنه سوف يتم التعامل معهم بشدة.

و ضمن إعلان الله تعالى عن أنه سيتعامل بصرامة مع المنافقين في الآخرة، فإنه يُعلّم المؤمنين أسلوب التعامل مع المنافق:

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾<sup>(١)</sup>.

وعلى هذا الأساس ففي القرآن الكريم خطاب موجّه إلى الرسول يقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾<sup>(٢)</sup>. إن صيغة الجهاد ضدّ الكفار واضحة، وهو جهاد يشمل كل المناحي خاصة الجهاد المسلح. ولكنّ البحث يدور حول صيغة الجهاد ضدّ المنافقين. لأنّ من المسلم به أنّ الرسول ﷺ ما جاهد المنافقين جهاداً مسلحاً.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يُقَاتِلْ مُنَافِقاً»<sup>(٣)</sup>.

ودليل هذا العمل واضح أيضاً؛ لأنّ المنافق شخص تظاهر بالإسلام، وكان قد توفّر على كلّ مزايا الإسلام، مهما كان يضمّر في الباطن، ويأظهار الإسلام، فلا يحقّ لأحد أن يتصرّف مع المنافق تصرّفاً شبيهاً بالتصرّف مع غير المسلم.

ما رفع في زمان الرسول ﷺ أي منافقٍ راية العداة مع الإسلام علانية، وما كان الرسول قد جاهدهم جهاداً مسلحاً.

لذا فيجب أن يكون المقصود من أمر جهاد المنافقين هي أساليب أخرى للمواجهة غير القتال المسلح. من قبيل: ذمّهم وتوبيخهم وتهديدهم وفضحهم. ومن المحتمل أن يكون المقصود من قوله تعالى

1. النساء: الآية ١٤٥.

2. التوبة: الآية ٧٣، والتحريم: ٩.

3. مجمع البيان: ج ١٠ ص ٣١٩.

﴿واغلظ عليهم﴾ هو من هذا القبيل من التعاملات.

بالطبع، يوجد هناك احتمال أيضاً، وهو أن المنافقين وطالما لم تنكشف أسرارهم الداخلية بعد، ولم تتضح نشاطاتهم التخريبية، فإنهم يتمتعون بأحكام الإسلام. أما عندما يتكشف باطنهم، وتتضح مقاصدهم التخريبية، يجب القضاء عليهم حتى ولو بالتعامل المسلح. وعلى كل حال فإن أسلوب الإمام عليّ عليه السلام في التعامل مع حزب النفاق الأموي وزعيمهم معاوية هو أحد مصاديق آية جهاد الكفار والمنافقين المتقدمة، فالإمام عليّ عليه السلام وإلى اللحظة التي كانت فيها قضية النفاق في مرحلة الكلام، فإن تعامله ما كان سياسياً ولا عسكرياً، بل كان تعامله ثقافياً وبوضوح. ولكن حينما تجاوزت قضية النفاق مرحلة الكلام، ووصلت إلى مرحلة الحرب والصدام المسلح، يجب تعامل معهم بصرامة وقهر. فالإمام عليّ قد فضح المنافقين وبصورة جادة عبر كلامه، كذلك حاربهم عملياً.

\*\*\*

وفي الختام: ما قدّمناه إليكم أيها القراء الأعزاء هو نظرة سريعة في مباحث النفاق في القرآن. وإن شاء الله في المستقبل نأمل أن تُتاح لنا الفرصة كي نعمل فيها إلى تفصيل هذه المباحث، وطرح مباحث أخرى لم تُذكر هنا حول موضوع النفاق في القرآن. والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.



## فهرس المصادر

١. القرآن الكرم.
٢. نهج البلاغة.
٣. الاحتجاج، المرحوم الطبرسى.
٤. أسد الغابة، ابن الأثرى.
٥. الإصابة، ابن حجر العسقلانى.
٦. أصول الكافى، المرحوم الكلبنى.
٧. إعلام الورى، الطبرسى.
٨. الإمام الصادق والمذاهب الأربعة، أسد حيدر.
٩. بحار الأنوار، العلامة المجلسى.
١٠. تاريخ الأمم والرسول، الطبرى.
١١. تفسير القرآن، القرطبى.
١٢. التفسير الأمثل، الشىخ مكارم الشىرازى وآخرون.
١٣. تفسير سورة التوبة والمنافقين، الشىخ جعفر السبحانى.
١٤. تفسير المنبر، الدكتور وهبة الزحلى.
١٥. تصنيف غرر الحكم، مكتب الإعلام الإسلامى، قم.
١٦. الجاذبية والإقصائية عند الإمام علىّ (ع)، الشهيد

## المطهري.

١٧. حديث الإفك، السيد جعفر مرتضى.  
 ١٨. الخصال، الشيخ الصدوق.  
 ١٩. الدر المنثور، جلال الدين السيوطي.  
 ٢٠. رسالة الخواص وعبر عاشوراء، السيد أحمد

## الخاتمي.

٢١. سفينة البحار، الشيخ عباس القمي.  
 ٢٢. السيرة النبوية، ابن هشام.  
 ٢٣. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد.  
 ٢٤. شرح نهج البلاغة، المرحوم الخوئي.  
 ٢٥. الشيخ فضل الله النوري والدستورية، رؤية بين

## فكرين، مهدي الأنصاري.

٢٦. العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي.  
 ٢٧. الغارات، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الثقفي.  
 ٢٨. غرر الحكم.  
 ٢٩. فتوح البلدان، البلاذري.  
 ٣٠. فروغ ابدیت (الشعاع الأبدي)، الشيخ جعفر

## السبحاني.

٣١. قاموس الرجال، التستري.  
 ٣٢. الكلمات القصار من المواعظ والحكم، مختارة من  
 كلام الإمام الخميني.

٣٣. لسان العرب، ابن منظور.
٣٤. مجمع البيان، الطبرسي.
٣٥. مجموعة الموزون الخفيف.
٣٦. المحجّة البيضاء، الفيض الكاشاني.
٣٧. مروج الذهب، المسعودي.
٣٨. قضية النفاق، الشهيد المطهري.
٣٩. مستدرک الوسائل، المحدث النوري.
٤٠. المصباح المنير، الفيومي.
٤١. الملل والنحل، الشهرستاني.
٤٢. منشور القرآن الخالد، جعفر السبحاني.
٤٣. مواهب الرحمن، السيد عبدالاعلى السبزواري.
٤٤. ميزان الحكمة، المحمدي الري شهري.
٤٥. نظرية المعرفة، جعفر السبحاني.
٤٦. النهاية، ابن الاثير.
٤٧. الثورات الاسلامية في المائة عام الاخيرة، الشهيد المطهري.
٤٨. نور الثقلين، عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي.
٤٩. وسائل الشيعة، الشيخ الحر العاملي.





## فهرس المحتويات

٧.....	كلمة المجمع
٩.....	تمهيد
١١.....	مقدمة الأستاذ
١٩.....	الفصل الأول: المعرفة الشاملة للنفاق
٢١.....	ضرورة معرفة النفاق
٢١.....	أهمية معرفة العدو
٢٤.....	النفاق والمنافقون في القرآن الكريم
٢٩.....	معنى النفاق لغةً واصطلاحاً
٢٩.....	أصل لفظة (النفاق)
٣٠.....	معنى النفاق في القرآن والروايات
٣٧.....	تاريخ ظهور النفاق في الإسلام
٣٧.....	النظرية المشهورة
٤٢.....	تحليل النظرية المشهورة
٤٥.....	مرض النفاق وأعراضه
٤٩.....	الفصل الثاني: خصوصيات المنافقين السياسية

- ٤٩..... تعزيز الروابط مع الأجنبي
- ٤٩..... أصول التعامل السياسي مع الأجنبي
- ٤٩..... الأصل الأول: معرفة الأعداء
- ٥٠..... أ - الرغبة في الرجعية
- ٥١..... ب - الرغبة في العدول عن أصول القيم
- ٥٣..... ج - مناعون للخير
- ٥٣..... د - البغض والحقد
- ٥٤..... هـ - تعمّد المباغته
- ٥٥..... و - المواجهة العنيفة مع المؤمنين
- ٥٥..... ز - الخيانة والعداء المستمر
- ٥٦..... الأصل الثاني: الفطنة واكتساب القدرة في مقابل العدو
- ٥٨..... الأصل الثالث: منع إقامة علاقة صداقة مع الأعداء
- ٦١..... الأصل الرابع: التعايش السلمي مع الأعداء غير المحاربين
- ٦٣..... سلوك المنافقين مع أهل الذمّة
- ٦٥..... فلسفة تعزيز الروابط بين المنافقين وغيرهم من الأعداء
- ٦٥..... ١- اكتساب العزّة
- ٦٨..... ٢ - الرعب
- ٧١..... التمرد على الولاية
- ٧١..... الولاية والتولي في الإسلام

٧٤	سلوك المنافقين مع الولاية
٧٦	المظاهر العملية للتمرد على الولاية
٧٦	أ - عدم قبول الحكومة الدينية
٧٩	ب - المخالفة العملية لأوامر الولاية
٨١	ج - هتك حرمة الولاية
٨٩	سائر الخصوصيات السياسية للمنافقين
٨٩	الانتهازية
٩٨	احتقار المؤمنين الغيورين على الدين
١٠٥	إثارة الفتنة
١١١	إيجاد الحرب النفسية
١٢١	الفصل الثالث: خصوصيات المنافقين النفسية
١٢١	الغرور
١٢٥	الخوف
١٢٧	القلق والاضطراب
١٢٩	اللجاجة
١٣٢	الضعف في المعنوية
١٣٣	اتباع الهوى
١٣٦	تبرير الذنب
١٣٩	الفصل الرابع: خصوصيات المنافقين الثقافية

- التمويه عبر الظاهر ..... ١٣٩
- طرق المنافقين من أجل تمويه المظهر ..... ١٤٠
- أ- التصريحات الكاذبة والمرائية ..... ١٤١
- ب - الأيمان الباطلة ..... ١٤٣
- ج - تبرير أسلوبهم غير الصحيح ..... ١٤٥
- د - التظاهر ..... ١٤٦
- هـ - الوعود الكاذبة ..... ١٤٧
- إضعاف المعتقدات الدينية ..... ١٤٩
- إثارة الشبهات ..... ١٥٤
- أ - نسبة الخداع الى الدين ..... ١٥٤
- ب - شبهة أنهم ليسوا على الحق ..... ١٥٦
- الفصل الخامس: خصوصيات المنافقين السياسية ..... ١٦١
- الخصوصيات الإجتماعية للمنافقين ..... ١٦١
- شعار الإصلاح والإيمان ..... ١٦١
- الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف ..... ١٦٢
- البخل ..... ١٦٤
- الإستهزاء بالمؤمنين وتقصي عيهم ..... ١٦٥
- الشماتة ..... ١٦٧
- الحقد ..... ١٦٨

---

١٦٩	الفصل السادس: أسلوب التعامل مع المنافقين .....
١٦٩	الكشف والفضح .....
١٧٢	مواجهة طعنات النفاق .....
١٧٣	أ - الإعلام الصحيح .....
١٧٤	ب - الرد على الشبهات وزيادة الوعي الديني والسياسي .....
١٧٦	المحافظة على الوحدة .....
١٧٧	التعامل الصارم مع المنافقين .....
١٨١	فهرس المصادر .....
١٨٥	فهرس المحتويات .....